روايات احلام

لا تهجر أحلامي

www.elromancia.com

مرمورية

لا تهجر أحلامي

هل يستطيع الحب أن يتغلب على طبيعة الإنسان؟ اليزابيث كاين ولدت وملعقة من ذهب في فمها... في لهو شبابها التقت لوك فولكنر ورفضته زوجًا بازدراء وعجرفة.

بعد ست سنوات احتاجت إليه، وقبل أن يساعدها. لكن لوك ما عاد كما كان، ففيه الآن غطرسة وشموخ وهو يشكّل تهديدًا خطيرًا لمشاعرها.

ترى ماذا ستفعل اليزابيث عندما تكتشف أنها قد قدّمت نفسها على طبق من ذهب إلى لوك كي ينفّذ انتقامه؟

www.rommana.com
مـــر مـــنـــو بـــلـــ

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١.٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-173-3

١ ـ هل تتزوجني؟

خرجت اليزابيت كاين من مكتب المحامي جوزف ديكارتس ثم قطعت الطريق باندفاع نحو مقر «غرينهاوس» حيث جلست الى طاولة قرب النافذة تبتسم استجابة لترحيب الساقية الودود وهي تتقدم نحوها بلائحة الطلبات.

ـ شاي فقط، مع توست محمص أرجوكِ يا روث.. هل معك ساعة؟ تركت ساعتي في المنزل.

ـ إنها الرابعة آنسة كاين.. السماء لن تظلم باكراً اليوم! كان الشتاء قاسياً هذه السنة وقد صعّب ذلك الامر على الجميع.

ـ لقد انتهى الشتاء ولله الحمد.

بعد شهر يزيد عليه قليلاً تصبح بيت في الخامسة والعشرين. خمسة أسابيع على وجه التحديد، يجب عليها خلالها أن تجد زوجاً لها أو تخسر البيت الذي ولدت وترعرعت فيه واحبته. نعم هي تعلم أنها قادرة على الطعن في الوصية، كما اقترح عليها جوزف اليوم، لكن حتى لو استطاعت أن تجبر نفسها على طرح اسم عائلتها في المحاكم، فقد فات الاوان بكل تأكيد. فمنذ ثلاث سنوات، لم يبدُ لها الشرط غير معقول، فمعظم الفتيات يتزوجن وهن في الخامسة والعشرين. لكن المشكلة أنها لم تجد حتى الآن رجلاً تريد الزواج منه، وبدا لها اليوم وقتاً مناسباً

لمراجعة العروض القديمة، لأنها لا تملك الوقت الكافي للبحث عن عروض جديدة.

الرجل الذي دخل المقهى، في أعقابها تقريباً، جلس الى طاولة بعيدة ورمى معطفه على كرسي الى جانبه. استطاعت بيت أن تحس بعينيه عليها الآن، فابقت عينيها بعيدتين عنه لئلا تلتقي عيونهما.

الشاي الساخن المعطر، اشعرها بالراحة. نظرت خارج النافذة وهي تلف يديها حول الفنجان طلباً لدفء حرارته، تتأمل ما يطيّره الهواء خارجاً، وتتذكر ما كتبه والدها في وصيته قبل أن يموت: «كوبرن»، منزل العائلة القديم، بحاجة الى عائلة وأنا أترقب منك أن تؤسسي عائلة لك، فإذا لم تستقري قبل الخامسة والعشرين، أشك في أنك ستستقرين يوماً... لذلك فقد أعددت العدة لبيع العزبة فيما إذا لم تتزوجي قبل هذه السن، على أن يستثمر الثمن والاموال الباقية لتأمين عيشة كريمة، تخولك العيش في المستوى الذي تشائين في هذه الحياة، وذلك حتى تصبحي في الثلاثين من العمر، وعندها ترثين بقية الاملاك والاموال لتشرفي عليها بنفسك. وتذكري دائماً أنني أحبك.. وأنني لا أريد لك إلا الافضل».

وماذا كان يظن أنه الافضل لها؟ لقد أحبت اليزابيت والدها، لكنهما لم يتفقا يوماً في الآراء. لا يحق لأحد أن يضع شروطاً للحياة بالابيض والاسود، المنزل المسمى «كوبرن فارم» كانت تملكه العائلة منذ ما يزيد عن ثلاثة أجيال. فلماذا يجب أن تحرم منه بيتاً لها لأنها لم تجد رجلاً تحبه، وهي أبداً لن تتزوج رجلاً لا تحبه.

انعكست الظلمة في الخارج على واجهة المقهى خلفها.

لكنها دون أن تدرك، كانت تنظر الى الرجل الجالس الى الطاولة المجاورة، مستجيبة لتركيز عينيه عليها. شاهدته الآن يقف فجأة، فاحست برجفة خفيفة في اعماقها... إنها تعرفه... أين شاهدت هذه الحركة الخفيفة الرشيقة من قبل؟ وهذا الجسد الطويل العريض المنكبين؟

كان يتقدم نحوها، فادارت رأسها له ببطء حين توقف الى جانب طاولتها، نظرت الى مسافة بعيدة في عمق عينين رماديتين لم تكشفا لها شيئاً، كان شعره اسود، وقسمات وجهه تعتبر بطريقة ما وسيمة، وهي قسمات لا تنسى بسهولة.. وهي لم تنسَ، بل أنها لم تتمكن قط من النسيان. فقالت له:

ـ مرحباً لوك.. مضى زمن طويل.

لم يرد فوراً... بل راح يتأمل الوجه البيضاوي الناعم المرتفع نحوه، ذي الانف الصغير المستقيم، والعينين الدعجاوين الخضراوين، والفم الممتلىء، والشعر النحاسي.

لاحت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول:

ـ بعد ست سنوات ما اعتقدتك ستتذكرينني. لم تتغيري اليزابيت.. عرفتك ما إن رأيتك تجتازين الطريق.. أتسمحين لي بالجلوس معك؟

ـ أرجوك اجلس. ظننتك في كاليفورنيا... ألم تتخذها موطناً آخر؟

ـ هذا صحيح! إنها موطن أمي. استقراري فيها كان بداية جديدة لحياتي.

ـ بداية ناجحة، كما أعتقد!

ـ بل متوسطة... كيف حال والدك؟

تجهم وجهها، وتلاشت البسمة:

ـ مات منذ ثلاث سنوات.. ولم يبق سواي.

ـ وحدك في ذلك المنزل الكبير؟

ـ إذا استثنينا العمال فيه.. أجل.

ـ أمر مؤسف.. مؤسف حقاً.. إذا كان هناك منزل يستحق أن تعيش فيه عائلة فهو «كوبرن فارم».

لا بد من أنه يسخر منها الآن، يحاول أن يذكرها بما مضى.. لكنها لن تتركه يثيرها. ردت عليه ساخرة:

ـ أنا لست من النوع الذي يحب العائلة، فأنا أفضل صحبة نفسي ساعة أشاء.

ـ دون روابط، دون قيود؟ ربما أنت على حق.

دون إرادة منها سألته:

ـ أتزوجت؟

ـ لم أجد الوقت اللازم... ربما أُفضل باب الرغبة في نفسي.

هذه لدغة أخرى. مع ذلك رفضت الاستجابة، وقالت تمد يدها لتتناول حقيبتها.

ـ يجب أن أذهب الآن..

ـ أتهربين؟

تجمدت قبل أن تستوي قامتها جيداً فنظرت إليه:

ـ لا.. لا أهرب.. فليس أمامي ما أهرب منه.

ـ إذن ابقي واكملي احتساء الشاي على الاقل، وسأطلب فنجانين ساخنين آخرين لنا.

بعد التحدي الذي واجهتها به العينين الرماديتين، وجدت بيت نفسها تعود الى الجلوس، وهي تدرك أنها بهذا تعترف بإرادة أقوى من ارادتها.. لقد عاملت لوك بشكل رديء في الماضي.

فأقل ما قد تفعله الآن لتعوض عما فعلته به، أن تبقى وأن تظهر له بعض الطيبة.

سألته بعد أن طلب الشاي من جديد:

ـ أعدت الى انكلترا لتستقر فيها؟

ـ بل أزورها فقط. وجدت نفسي في المنطقة وقررت زيارة الاماكن القديمة التي أعرفها لبضعة أيام. أنا أقيم في فندق «لايونزهيد» وهو لم يتغير كثيراً.

ـ ست سنوات ليس بالزمن الطويل.. والبلدة لم تتغير كثيراً منذ خمسين سنة.

ـ لكنها ازدادت سكاناً. حاولت بالامس أن أفتش عن اصدقاء قدامى، فلم أجد منهم سوى بيل ديكر.

ـ لكنني أنا باقية هنا.

ـ هذا ليس الشيء نفسه... فقد كنا نعيش في مستويين مختلفين... هذا ما قلته لي يومها.

أحست بالخجل، ولوحت بيدها وكأنها تعتذر:

ـ كنت متكبرة يومها.

ـ كان هذا ينطبق على الزواج ممن هو أقل منك طبقة. مع أننا أمضينا أوقاتاً متقاربين تزيد عن عدة أسابيع.

لم تكن بيت بحاجة لمن يذكرها.. لقد كان لوك يختلف عن بقية الشبان الذين تعرفت إليهم. فقد كان يملك وهو في الرابعة والعشرين من عمره اندفاعاً غريزياً للنجاح جذبها إليه رغم ارادتها.

حينما قبلت دعوته للرقص في إحدى الحفلات، لم تشأ أن تستمر هذه العلاقة الى أبعد من لقاء أولي عادي، يومذاك شلتها نظرت الى المسألة برمتها بردات فعل مختلفة. بعضهم عدّها

www.elromancia.com

تسلية والبعض الآخر عارضها، والبعض انزعج منها. لكنها لم تهتم بأي رأي من آرائهم، بل صممت على اتباع هواها.. أخذها لوك الى أماكن لم تزرها من قبل. تحدث معها عن أشياء لم يزعج أحد من قبل نفسه في مناقشتها. ضمها بحب حرك فيها عمقاً جديداً لم تعرفه. ومع ذلك، لم يحاول مرة تجاوز الحد مع مشاعرها التي لم تتجاوز ربيعها الثامن عشر. كانت تعرف تماماً مشاعره نحوها، ولم تحاول منعه من اعلانها المحتم... ففي الواقع، كان بالنسبة لها، اسم ضحية تضيفه الى لائحتها الطويلة.. كيف كانت يوماً يهذه الانانية؟

قالت له:

ـ أنا آسفة.. أخطأت في معاملتك.

ـ لكنك لم تخطئي عندما رفضتني.

فارتفع رأسها كبرياءً:

ـ لا أظن... في الواقع لم يكن لدينا الكثير من القواسم المشتركة.

ـ لا؟ حسناً.. ربما تكونين على حق في هذا، فلقد اعتدت كل الاعتياد على تنفيذ رغباتك، ولم تقبلي بسهولة افكاري. فعندما تخطو زوجة رجل عامل خارج الحدود، يجب أن توقف عند حدها بصراحة، وما كنت لترضي بهذا.

ها قد عاد الى السخرية، لكنه محق. ضحكت بيت وهزت رأسها:

ـ لم أكن لأقبل أبداً.

طال الصمت.. لكن لوك قطعه بلهجة ناعمة:

ـ هذا كان عن الماضي... فماذا عن الآن؟

ـ عظيم.

نظرت إليه، فصدمتها فكرة كادت تضحكها.. إنه حل من نوع ما. لكن ليس هذا الرجل... مع من إذن؟ من هو الذي تعرفه قد يفكر في مثل هذه الخطوة؟

سمعته يسأل:

ـ أثمة ما يقلقك؟

ـ أجل.. أنا في ورطة، ولست أدري كيف الخلاص.

ـ أتودين التحدث عن الامر؟

ـ ليس هنا... ما رأيك لو زرتني في منزلي لتناول العشاء هذا المساء؟

ـ فكرة جيدة.. فالطعام في الفندق ليس لذيذاً جداً.

ـ أمازلت تزاول العمل في السفن وصناعتها؟

ـ تقريباً. متى تودين زيارتي؟

ـ في حوالي السابعة والنصف حتى نتناول شراباً قبل الطعام. سأطلب من السيدة جيرارد أن تحضّر عشاء خاصاً لهذه المناسبة.

سألها بعجب:

ـ اتحتفظين بطاهية لك وحدك؟

فردت بحدة تدافع عن نفسها:

ـ أستقبل عدداً كبيراً من الضيوف، كما أنها تعمل في المنزل منذ زمن طويل!

ـ أعرف... فأنا أذكرها. لقد أصبحت حساسة جداً بيت.. كنت يوماً لا تأبهين بتبرير تصرفاتك أو أقوالك.

ـ ربما.. يهمني أن أعرف ما أصابك من تغيير.

نهض قبل أن تتمكن من الرد، وأخرج بضع أوراق نقدية من حافظته فوضعها فوق الفاتورة.

ـ السابعة والنصف إذن. سأترقّب بشوق هذا الموعد.

ظهر لها المنزل بعد منحنى الطريق الداخلية الأخير، بدت الواجهة الكبيرة المربعة المضاءة البَّراقة ترحب بها. عليها أن تعترف بأن المنزل كبير بالنسبة لشخص واحد.. لكن مع الوقت، قد تتمكن من القيام بشيء بشأن الامر.. إنها لم تسمع من قبل شروطاً مجحفة كالتي نصّها والدها.. لكن ما البديل عدا مواجهة القضاء؟ وإن رفعت دعوى قد تفشل، لذا ليس لديها سوى بديل واحد... وهو بديل قد تفشل فيه أيضاً.

التقاها جيرارد عند الباب وقد افترت قسمات وجهه السمحة عن ابتسامة.

ـ كدت أرسل من يفتش عنك، فقد ذكرت أنك عائدة عند الساعة الثالثة.

ردت بيت الابتسامة بمحبة.. فجايمس جيرارد يخدم العائلة منذ ما يزيد عن الثلاثين سنة، وقد حل بطريقة ما محل أبيها الذي فقدته... فلولاه لضاعت... ما من مال قد تكافيء به مثل هذا الرجل وزوجته غريت، مع أن والدها قد اشترط صرف مبلغ محترم لهما في حال بيع المنزل، تعويضاً عن حرمانهما من العمل والمأوى، فالزوج في الثالثة والستين أما الزوجة ففي الثامنة والخمسين، وهما ليسا مستعدين للبحث عن عمل جديد.

أجابته بيت:

ـ تأخرت أكثر مما تصورت، ثم تناولت الشاي في «غرينهاوس».. أتسمح بأن تقول للسيدة جيرارد أن لديّ ضيفاً على العشاء الليلة.

بدا التوتر على جيرارد:

ـ سيد واحد فقط؟ أهو شخص نعرفه آنسة اليزابيت؟

ـ ربما منذ زمن بعيد. إنه ابن دايفد فولكنر، لوك.

ـ فولكنر؟ لا أظنني...

ـ ألا تذكر دايفد الذي كان يعمل في مكتب البريد قبل خمس سنوات؟

ـ أوه.. أجل.. لقد سافر الى كاليفورنيا بعد وفاة زوجته الاميركية!

ـ نعم للحاق بابنه لوك الذي هو الآن هنا في اجازة.. على الاقل هذا ما فهمته.

ـ إنه ليس وقت إجازة.

ـ أوه لست أدري.. ربما اشتاق الى انكلترا.

راحت تقلب البريد الموضوع على الطاولة في الردهة، وأردفت:

ـ أهذا البريد كله اليوم؟

ـ أجل.. أكنت تتوقعين رسالة هامة؟

ـ لا.. بل أمل في ظهور شيء ما، لا أعرف ما هو في الواقع.

احنى جيرارد رأسه:

ـ سأخبر السيدة جيرارد.

وصل لوك قبل ربع ساعة من الموعد المحدد، يقود سيارة روفر قاتمة اللون. شاهدته بيت من نافذة غرفتها المرتفعة القديمة الطراز.

عندما سمعت قرع الجرس لم تكن قد نزلت بعد الى الردهة... لقد وصل وستواجه المشكلة: أتحدثه أم لا؟ أيهما تختار؟

ـ يسرني حضورك...

ـ شكراً!

www.elromancia.com

ـ تفضل من هنا. فكرت في الجلوس في المكتبة، التي كان يستخدمها والدي دائماً لشرب قهوته، وأنا أحذو حذوه الآن. فما رأيك؟

ـ لمَ لا؟ إذا لم نجد ما نتحدث عنه نلجأ الى كتاب.

ـ لا تهزأ بي.

أجفلتها حدة ردها... ماذا دهاها؟ ليس هناك ما يجبرها على شيء... وقد تتهرب متى شاءت.

أشارت بيت بيدها الى صينية الشاي الموضوعة سلفاً على الطاولة:

ـ أتود أن تصب لنفسك؟ إذا رغبت في شيء آخر عدا الشاي، سأطلب من جيرارد احضاره.

ـ الشاي عظيم.

ـ لكنني لا أحب تناوله قبل العشاء... هل لي أن أسكب كوباً من شراب الكرز؟

ـ آه.. آسف لم أكن أفكر إلا في نفسي.

لم تصدق ما قاله.. لقد تعمد التغاضي عن سؤالها.. لماذا؟ أليدفعها للانتظار؟ من يعرف كيف يفكر لوك فولكنر هذه الايام؟ هل تلومه؟ لقد كانت يومها مدللة فاسدة بحاجة الى من يضع لها حداً... حسناً، فليمرح وليتلاعب، فلن يضير هذا أحداً...

جلسا يحتسي كل منهما شرابه:

ـ أخبرني عن كاليفورنيا، فأنا لم أزرها من قبل.

راح يرسم لها صورة فريدة الجمال عن المدينة وما يحيطها، فأفاض في القول، ومع ذلك لم تستطع أن تنتزع منه أية تفاصيل شخصية، ولم تستنتج إلا أنه يقوم بأعمال بحرية، وهذا ما تعرفه، كما استنتجت أنه يسافر الى بلاد كثيرة لملاحقة قضايا

وأعمال الشركة.

ـ وماذا عن والدك؟ أيعيش معك؟

ـ لقد تزوج أبي منذ سنتين، ولديه وزوجته بيتهما الخاص.

ـ إذن لديك زوجة أب الآن.

ـ من؟ سيليستا؟ إنها كالأم الحنون، قلبها من ذهب، لقد اعطت ابي حقاً حياة جديدة.

ـ أنا مسرورة له.

لم تستطع بيت التفكير في شيء تقوله، الامر أصعب مما تصورت، فليس بينهما شيء مشترك، والماضي موضوع محرّم... فماذا ترك الماضي على أية حال؟

استلم لوك زمام المبادرة في الحديث فسألها عما إذا قرأت الصحف اليوم، وعن رأيها بسياسة الحكومة الحالية. فطال بهما الحديث في السياسة حتى خلال وقت العشاء الذي تلا بعد وقت قصير، وتناقشا كثيراً ومع ذلك لم يخرج الحديث عن سيطرتهما.

قال لها معلقاً وهما يتناولان الحلوى:

ـ لديك حس جيد بشأن الأمور السياسية، لكن عليك الانفتاح أكثر.

فردت ساخرة:

ـ أتعني أن أبقى في موقف المتفرج؟ لا.. شكراً.. فهناك الكثير ممن يفعل هذا؟

دخل جيرارد ليسأل:

ـ هل أحمل القهوة الى المكتبة آنسة اليزابيت؟

ـ أجل، شكراً لك جيرارد.

ثم سار كل شيء على ما يرام، فما إن أحست بيت بالقهوة الساخنة تستقر في فمها، حتى أحست بأنها أكثر استعداداً لقضاء

www.elromancia.com

ما تبقى من الامسية. راقبها لوك بصمت من مقعده المقابل.. وكأنه يترقب، وكأنه بانتظار أن تطلب منه شيئاً. لكنها كانت بحاجة الى مدخل للحديث.

في النهاية، كان لها هذا المدخل، فقد وقف فجأة، وتقدم منها ممسكاً بكتفيها وجذبها لتنهض.

برزت السخرية في عينيه وهو يسأل:

ـ لماذا دعوتني بالضبط الى هنا اليزابيت؟ لم يكن السبب بكل تأكيد أن نلملم ما تبعثر من الماضي حيث تركناه؟

ارتدت الى الخلف حتى اسندت ربلتي ساقيها الى المقعد، فقد أحست بأنها بحاجة الى الدعم لتمنع ساقيها عن الارتجاف، ثم قالت:

ـ بطريقة ما... أجل. لكن ليس كما تظن، فأنا لا أريدك أن تتقرب مني لوك. أبداً.. أتفهمني؟

ـ جعلت من الصعب علي ألا أقترب منك أو ألمسك، فلماذا لا تخبريني عما تريدين؟

ـ يصعب أن أشرح لك.

ـ حاولي.

ـ حسناً... هل تقبل بمبلغ محترم من المال؟

ـ كم مقداره؟

ـ عشرة آلاف جنيه.

نظرت إليه فلما وجدت صعوبة في قراءة أفكاره، سألته:

ـ أهو كاف؟

فكر طويلاً قبل أن يرد:

ـ هذا وقف.. على ما تطلبينه مقابل المبلغ.

تنفست عميقاً، تسعى للجرأة وحين حصلت عليها، بدا صوتها عادياً:

ـ الامر بسيط.. أريدك أن تتزوجني.

• • •

www.elromancia.com

٢ ـ القدر يتآمر

توقع كل شيء إلا ما سمعه، فقد بقي بضع لحظات متسمراً جامداً ينظر إليها وفمه مطبق بشدة كخط مستقيم حتى توترت أعصاب بيت.

سألها بخشونة:

ـ أهذه فكرتك عن المزاح؟ إذا كان هذا، فأنا أنوي أن أظهر لك الروح الحقيقية للمزاح.

ـ لست أمزح. أتظن حقاً أنني قد أفعل هذا لو كان أمامي خيار آخر؟ إن لم أتزوج قبل بلوغ الخامسة والعشرين من عمري، أي بعد خمسة أسابيع، أفقد هذا البيت.. هذه هي المشكلة ببساطة.

فضحك:

ـ ببساطة؟ بكل تأكيد! إن كنت تريدين مطلق زوج، فثمة مرشحون كثر.

ـ ليس منهم من يرضى أن يكون الزواج اسمياً فقط.

فتغيرت أساريره:

ـ آه.. فهمت، أو بالاحرى بدأت أفهم.. هذه فكرة أبيك.. أجل، هذا واضح. كان رجلاً ذا آراء قوية، لكنه كان غير نافذ البصيرة. هذا لأنه تصورك قد تركعين أمام شروطه.

ـ الامر ليس مسألة ركوع. فأنا لم أجد الرجل الذي أرغب في الزواج منه بعد.

ـ إذن تخلي عن المنزل.

ـ لا أريد هذا أيضاً. لقد كان مخطئاً في وضع شروطه، فمع الوقت سأنفذ رغباته، لكن مع الرجل الذي أحبه.

ـ وكم تتوقعين أن يدوم اتفاقنا.

ـ الى أن يرغب أي منا في الرحيل لأي سبب من الاسباب.

ـ وبعدها؟

هزت كتفيها متمنية أن تستطيع الاحساس بعدم المبالاة كما تبدو:

ـ طلاق سريع.. وماذا غيره؟ فنحن سنعيش متفرقين على كل الاحوال.

ـ أنا في كاليفورنيا... وأنت هنا؟

ـ طبعاً.. فكل ما أريده منك هو أن استعير اسمك مؤقتاً، إذا جاز التعبير.

ـ لا يجوز هذا التعبير كثيراً، خاصة مقابل عشرة الآف!

ـ إذن ستقبل؟

جاء دوره ليهز كتفيه دون اكتراث:

ـ ولمَ لا؟ ثمة المئات من الوسائل لكسب العيش.. متى تريدين أن يحدث هذا؟

ـ في أسرع وقت ممكن.

لم تصدق أنها نالت ما تريد.. الامر تم بسهولة، حتى دون تردد اخلاقي..

ـ لا شك أنك تحتاج الى ذلك المبلغ.

ـ ربما.. سيتم زواجنا في مكتب التسجيل طبعاً؟ سأبدأ

www.elromancia.com

التحضير منذ الغد.. على الاقل لسنا مضطرين لتقديم اثبات مكان الاقامة. وإذا تم كل شيء على ما يرام ستتزوج يوم الخميس.

بدا صوتها غريباً، وكأنه قادم من بعيد:

ـ سأدفع المصاريف كلها... بالطبع.

ـ أوه.. أظنني قادر على دفع الرسوم وعلى الحصول على الترخيص.. لن يكون الزواج رسمياً... لا ضيوف ولا شهود عرس ندفع لهم ثمن الهدايا. أليس كذلك؟

ـ لا.

أحست بجفاف في حلقها، فنظرت إليه بصمت، محاولة عبثاً التكهن بما يفكر فيه... السيدة فولكنر... إنها دون شك مجنونة... قال وكأنه يقرأ أفكارها دون صعوبة:

ـ لم يفت الوقت بعد. أمامك بضعة أيام لتغيري رأيك.

كلامه هذا جعلها بشكل غريب تعقد العزم، فقالت بثبات:

ـ لن أغير رأيي. فأنت الوحيد الذي قد أعتمد عليه.

ـ الامل الاخير... غريب.. أليس كذلك؟ كيف يتآمر القدر! لقد وعدني طالعي في الصحف هذا الصباح بمغامرة جديدة اليوم. سأصدق ما تقوله النجوم في المستقبل... أما الآن، فأنا بحاجة الى فنجان قهوة آخر.

ـ تفضل، لك ما شئت.

ارتدت تجلس على مقعدها من جديد.. صب لنفسه فنجان قهوة وجلس الى حافة الطاولة.

ـ لماذا لا تخبريني القصة الكاملة؟ ماذا تقول وصية والدك بالضبط؟

اخبرته دون انفعال، لم تخف شيئاً. فنظر إليها مفكراً بعد أن

انتهت:

ـ إن كان لا يمكنك الاشراف الكامل على الاملاك قبل سن الثلاثين.. فمن أين تجهزين العشرة آلاف جنيه التي ستدفعينها لي؟ لا أظن أن المحامين سيدفعون لك مبلغاً كهذا على الحساب.

ـ لا تقلق.. ورثت بعض المال الخاص من جدتي.. سأحضر لك الشيك يوم الخميس.

ـ ألن يفلسك هذا حالياً؟

ـ ما قد احتاجه سيقدمه لي جوزف ديكارتس، محامي العائلة المشرف على الاملاك وذلك يشمل مصاريف المنزل. وبما أنني سأفي بشروط الوصية، فلن يتغير شيء. سيصلني إيراد يكفيني مهما كان نمط الحياة الذي سأتخذه. هذا ما تنص عليه الوصية.

ـ ألن تشعري بالوحدة؟

ـ لدي أصدقاء، والزوجان جيرارد معي.. لا.. لن أحس بالوحدة. لقد سبق وقلت لك، أحب صحبة نفسي.

ـ أنت مزيج غريب اليزابيت!

ـ يجب ألا يقلقك هذا أيضاً.. إذا انهيت قهوتك، فالخير أن ترحل الآن لأنني متعبة وأود النوم باكراً.

ـ كما تريدين.. هل ستتقابل قبل يوم الخميس؟

ـ لا.. إذا احتجت للاتصال بك، سأتصل بالفندق.

ـ قد لا تجدينني.

ـ سأترك لك رسالة لتتصل بي، ثم ماذا قد يحدث؟

ـ قد أكره الخسارة في اللحظات الاخيرة.

ـ لن تخسر شيئاً، حتى حريتك. لك أن تذهب الى شأنك ظهر الخميس إذا انهينا العقد صباحاً.

www.elromancia.com

- وماذا عن الخاتم؟
- أوه... يا إلهي!
فكرت قليلاً ثم قالت بارتياح:
- ما من مشكلة.. سأستخدم خاتم جدتي. لقد تركت لي جواهرها كلها. قد يكون قديم الطراز، لكنه سيحل المشكلة... أرجوك اذهب لوك.. سيحضر لك جيرارد معطفك.
توقف عند الباب، يده على الاكرة، قسماته متجهمة، ثم سألها دون أن يلتفت:
- أواثقة من كل شيء؟ ألا تريدين تغيير رأيك؟
- لا.. سأراك يوم الخميس.

• • •

قادت بيت السيارة الى المدينة، تفكر في السعادة التي ستشعر بها. لكن الزواج السعيد لم يكن الهدف. بعد أقل من ساعة، سيصبح اسمها اليزابيت فولكنر لا اليزابيت كاين... قلة من الناس ستعرف الخبر... لذا ستواظب على استخدام اسمها الأصلي.
انتظرت بعض الوقت قبل أن تخبر جايمس جيرارد بأمر الزواج الذي تلقاه بشيء من الانزعاج، المشوب بالراحة.. فهو الآن سيتمكن من انهاء أيام عمله في المنزل الذي أحبه ورعاه وعاش فيه سنوات عديدة.
كان لوك، ينتظرها في مكتب التسجيل حينما وصلت.. لم يكن على قسمات وجهه ابتسامة أو شبه ابتسامة... وكأنه يأخذ الامور بجدية.. ويجب أن يكون جاداً.. فالثمن عشرة آلاف جنيه. والشيك الذي ستعطيه إياه بعد التوقيع في محفظتها.
سألها:

- أكل شيء جاهز؟
- كل شيء.
رغم حساباتها، كانت بيت واثقة من أن مسجّل عقود الزواج، الذي يعرف والدها تماماً، قد تعتمد عليه في كتمان أمر زواجها.. لكن ما لم تحتسب له حساباً، ونسيته تماماً، كان الشاهدين الضروريين. وهذان عادة من موظفي المكتب، وقد تعرفا عليها حالما رأياها، فأدركت، وقلبها يخفق، أن الخبر سينتشر بسرعة كما النار في الهشيم.
كانت مشغولة الفكر في التوسل إليهما ليكتما الخبر فلم تنتبه لما قاله السيد نايتلي، المسجّل، واضطر الى تكرار قوله مرة أخرى، فردت عليه بصوت منخفض واضح، واصغت الى اعلانهما زوجاً وزوجة، وتلقت تهنئته... السيدة فولكنر، ما حصل كان أمراً حقيقياً.
في الخارج، سألها لوك:
- والآن.. ماذا؟
هزت بيت رأسها، لا جدوى من القلق بشأن الامور الآن. لقد تم كل شيء وانتهى. وإذا انتشرت الاقاويل فعليها أن تواجهها. قد لا يفهم الناس سبب زواجها سراً، لكن إذا تابعت حياتها كالمعتاد فسينسون الامر سريعاً.
بدا نفاذ الصبر على لوك:
- حسناً... أيفترض أن نودع بعضنا هنا في الشارع؟
- لا.. بالطبع لا. لقد حضرت الغداء في المنزل. بعدها لك الذهاب حيث تريد.
- أي بعد أن تدفعي لي؟
- إذا أحببت تفسير الامر هكذا فأنت حر. لقد عقدنا

www.elromancia.com

صفقة.. صريحة بسيطة.

ـ هذا صحيح.. فلنذهب لتناول الغداء إذن.

عادا الى المنزل كل في سيارته، يلحق لوك بها. بعد مغادرة البلدة امتنعت عن النظر خلفها عبر المرآة.. فبعد قليل سيخرج من حياتها... وحتى ذلك الوقت لا تريد أن تفكر إلا في ما يحتاج الى تفكيرها.

استقبلهما جايمس جيرارد بوقار... وكانت زوجته قد تكبدت مشقة تحضير غداء مميز، بغض النظر عما تعرفه عن ظروف الزواج. لكن بيت لم تحس بطعم ما كانت تأكله، ولوك أيضاً على ما يبدو لم يكن يأكل كما يجب. وسأل:

ـ أليس هناك شراب خاص لهذه المناسبة؟

فأجابت بحدة:

ـ ليس لدينا مناسبة حقاً. لك أن تدخن سيكاراً مع القهوة.

ـ أنا لا أدخن.. ألا تذكرين؟

ـ ظننتك تعودت التدخين.

فابتسم متراجعاً في كرسيه الى الوراء:

ـ تقصدين تعودت على التدخين وعلى رذائل أخرى. من صاحب فكرة جلوسي على رأس المائدة؟

ـ فكرتي أنا. فهذا أقل ما يجب في مثل هذه المناسبة.

نظرت الى ساعتها تقصد أن يلاحظ حركتها:

ـ سأحضر لك الشيك. لن تواجه صعوبات.. كل شيء جاهز.

بقي لوك حيث هو حين ذهبت لتحضر الشيك من محفظتها. قدمته له فتناول قطعة الورق منها دون أي اكتراث، بل دون أن ينظر إليها، إذ ركز عينيه على وجه بيت، وراح يمزق الشيك

ببطء يشقه نصفين.

ـ لا أريد مالك. فلدي الكثير منه.

أحست بيت بأن قلبها تتزايد خفقاته حتى تكاد تسد لها الخناق، وأن صوتها يخشوشن وهي تقول له:

ـ ماذا تريد إذن؟

ـ أريدك أنت اليزابيت.. وقد أردتك دائماً.

بدا صوت تكتكة الساعة الخشبية الكبيرة في الردهة الخارجية الساكنة يملأ المنزل. حدقت فيه برعب مذهول، لا تعرف السبيل الى الرد.. أخيراً همست:

ـ لستَ جاداً. لقد اتفقنا على صفقة يا لوك.

ـ تزوجنا. وهذا ما يعطيني حقوقاً محددة لن تنكريها.

احمرّ وجهها، ولمعت عيناها:

ـ هذا لا يعطيك شيئاً مهما كان الذي في خلدك. انسَ ما تفكر فيه، أسمعت؟ تلك الرخصة لا تمنحك شيئاً وهي بالنسبة لي لا تعني شيئاً. إنها ليست سوى أقصوصة ورق.

ـ أود لو أسمعك تقولين هذا للسلطات. فلكلماتك هذه في القانون معانٍ كثيرة.

سعت للسيطرة على أعصابها، وأظافرها تغرز في راحتي يديها:

ـ حسن جداً.. إذن نحن مرتبطان قانونياً. ومع ذلك ليس لك عليّ حقوق. نحن في القرن العشرين، ألم تلاحظ هذا!

ـ هذا لا يهمني... لقد عدت الى هنا بحثاً عن فتاة سخرت مني مدة، وكنت أمل أن أنزل بها عقوبة ملائمة، وإذا بك تقدمين لي الفرصة بيدك على طبق من فضة. أتحسبين أنني قد أفلت هذه الفرصة من يدي. لقد فكرت دائماً في ما إذا أنت عارية جميلة

www.elromancia.com

كما أنت لابسة. وهدفي الآن أن أكتشف الحقيقة، ولسوف أحصل عليك.. وسآخذ ما كان يجب أن يكون لي منذ ست سنوات.

ـ وماذا سأفعل أنا في رأيك؟ ستكون مجنوناً لو خلت أنك قادر على البقاء هنا! فهذا منزلي.. بيتي. حيث لا مكان لك فيه.

ـ حاولي إذن أن ترميني الى الخارج.. بل الافضل، أن تطلبي من جيرارد ذلك.

عضت بيت على شفتها. إنه يعلم بأنها لن تجرؤ على زج أحد في مشكلتها، وعليها أن تجد وسيلة معقولة للتنفيذ.

ـ إن أردت المزيد من المال، فسأؤمنه لك. لكن قد يتطلب ذلك بضعة أيام.

لم تضعف الخطوط المتشددة حول فمه:

ـ لقد قلت لك: لا يهمني مالك، فلن تشتريني بمال الارض كله. ضعي هذا في رأسك.

ـ لست مستعدة بكل تأكيد لوضع الفكرة البديلة التي تعرضها في رأسي!

ـ أنا لا أعرضها.. بل أطالب بها. ولا أرى أن هناك وقت أنسب من هذا الوقت لدفع ما يتوجب عليك.

ردّ كرسيه الى الوراء ثم نهض والابتسامة تتسع وتتسع من رؤية ارتدادها العفوي الى الخلف.

ـ ستجدين هذا عملاً سهلاً.. أعدك بهذا.. فلقد أمضيت ست سنوات أفكر في الطريقة التي تخولني الحصول عليك.

ـ كما سعيت الى العديد من النساء للتمرن على الامر، دون شك.

بدت السخرية في صوته:

ـ إن وفرتهن لم تنسني حبي الوحيد الحقيقي... ارمي كل شيء الآن تحت قدميك، فقد جاء دورك. هيا أريني غرفة نومك. لقد انتظرت مدة طويلة، مدة كانت كافية.

جعلتها لمسة يده على ذراعها ترتجف، فجذبتها بحدة، رافضة التراجع أكثر من هذا:

ـ لست مستعدة لدفع شيء إلا ما اتفقنا عليه. وإذا لم تخرج من هنا فسأستدعي الشرطة!

ـ ماذا ستخبرين رجال الشرطة؟ هل ستقولين لهم إن زوجك الجديد ليس ذلك الابله الذي خلت نفسك قد تزوجته؟ لن يستطيعوا فعل شيء.. إنها مسألة قانونية، وعليك جرّي الى المحكمة لتفسخي العقد، وبعدها يمكنك إبعادي عنك. وهذا يعني أن تقولي للقاضي ولكل الموجودين ما حدث بالضبط، فأنا لن اغتصبك بل أطلب منك حقي.. قولي لهم إنني ضربتك مثلاً، لكنك ستضطرين لاظهار آثار ذلك الضرب. ولن يكون لديك آثار.. سأتأكد من هذا.

ارتجفت رغماً عنها. لقد فكر في كل شيء، وكأنه خطط للمسألة منذ البداية. لكن هذا مستحيل! لا يمكن أن يعرف بأنها تفكر في مشروع كهذا، لقد قدمت له نفسها، كما قال، على طبق من فضة.

حاولت استخدام طريقة أخرى، تظهر فيها ضعفها:

ـ لوك.. قلت لك إنني أسفت على ما فعلته بك في الماضي.. وأنا بالفعل آسفة. كنت يومها في الثامنة عشرة شابة مدللة، مستهترة، أعلم هذا. لكنني تغيّرت... فأنا ما عدت كما كنت.

www.elromancia.com

رد عليها بصوت منخفض ناعم:

ـ أنت لم تتغيري.. مازلت تستغلين الناس لتحقيق مآربك. لكنك هذه المرة لن تنجي بفعلتك. فأنا أريدك، وأريدك الآن. فإما أن تصعد الى غرفة نومك، أو انفذ ما أريده هنا. فلا فرق عندي.. لكن قد يعترض جيرارد في ما لو دخل الى هنا دون استئذان.

سارعت كبرياؤها لتنقذها. كبرياء شابتها كراهية متصاعدة فلو انتظر منها التوسل إليه لأمضى الوقت منتظراً. فهي أبداً لن تستسلم له. إن الخضوع لرغباته سيرهق أعصابها ومعنوياتها... لكن، لو كانت هي الطريقة الوحيدة للخلاص منه... فستجبر نفسها عليها. وعندما يرى أنها لا تتجاوب معه سيدرك أن انتقامه لم يحقق الهدف منه.

واجهته بقوة، وفمها يظهر ازدراءها:

ـ حسناً... افعل ما شئت.. فلن أقاومك يا لوك. ولن أنزل الى مستواك!

لاحظت وميضاً غريباً في أعماق عينيه، لكنه لم يرد بعنف:

ـ إذن، تفضلي وارشديني الى غرفتك.

• ما أراح بالها أن أحداً من الخدم لم يظهر أثناء ارتقاء الدرجات وصولاً الى غرفة نومها التي كانت الى جانب الرواق الذي يعلو الدرج. كانت غرفة كبيرة، فخمة الاثاث، فراشها ذو المظلة النصفية مجلل بالحرير... يتسلل إليها حالياً ريح خفيفة باردة من النافذة الصغيرة التي تركت أحد مصراعيها مفتوحاً. تقدمت لتقفلها، وهي ترتجف قليلاً رغم حرارة الغرفة.

تناهى إليها من الخلف صوت الباب وهو يُقفل ثم حفيف سترته التي طفق يخلعها... فشحذت عزيمتها وتقدمت من

السرير، واصابعها المرتجفة تعبث بأزرار فستانها الامامية.

فكرت: كلما اسرعت في تنفيذ ما يريد كلما سارعت في التخلص منه.

لكن، ما إن أحست برابع زر يتحرر، حتى عاودتها كبرياؤها... وأخذت ترتجف بثورة ضد ضعفها.. كيف لها أن تتعرض لهذه التجربة! وما من طريقة قد تجبرها.

سرعان ما انتزع لوك المبادرة من يدها، إذ تقدم وادارها لتواجهه. كان قد أزال ربطة عنقه، وفتح قميصه حتى الوسط تقريباً ليكشف عن صدر مغطى بالشعر الاسود. مد يده ليبعد يدها عن الأزرار:

ـ لن تحرميني هذه المتعة كذلك. لقد حلمت دائماً بأن اخلع عنك ثيابك.

ـ لست لعبة!

ـ أعلم هذا. أنت امرأة راشدة حقيقية حية. وعليك أن تتصرفي على هذا الاساس. لا أريدك دمية حبيبتي، فهذا لن يسعدني أبداً.

إذن لقد عرف.. تكهن بكل ما كانت تفكر في القيام به.. فقاومته بشدة، لقد أقفل الباب، تعرف هذا، لكنها لن تصرخ طلباً لمساعدة جيرارد.

بالطبع، لم تكسب، فقوته تفوق قوتها بكثير. بل هو لم يزعج نفسه حتى بالرد على مقاومتها، فلقد حملها ببساطة ورماها فوق السرير.. حيث أحست بيديه تمران عليها، بخبرة ومعرفة تامة لما يفعل. لم تعد تقاومه، لأنها فقدت الرغبة في المقاومة، الفكرة بحد ذاتها، تلاشت بعيداً، بعيداً، بحيث لم تترك أثراً إلا للأحاسيس.

لم تثب الى رشدها، إلا حين توقف... أحست بأن جسدها أصبح نصف عارٍ، لكن لوك كان يرتدي كل ملابسه إلا القميص الذي انتزع من تحت حزام سرواله، وهي على الارجح من فعل هذا. ففي هذه الدقائق الاخيرة التي مرت بها كانت في ضياع تام لم تختبر مثله من قبل.

سمعت يهمس:

ـ أرأيت؟ قلت لك إن هذا ليس صعباً.. كم فكرت في هذه اللحظات! كم حلمت بك بين ذراعي، طويلة، جميلة، غير متمنعة. أنت جميلة اليزابيت.. كما تصورتك دائماً. أيعجبك هذا؟ إنها البداية فقط.. سوف أجعلك تطلبين حبي... كما طلبت منك يوماً حبك. لسوف تختبرين معي الشوق والرغبة. أتذكرين كيف كنت تسمحين لي بملامستك، الى حد كاف لإثارة أعصابي ثم بعدها تمتنعين وتدفعيني عنك وعيناك الدعجاوين تحتجان ببراءة مصطنعة.. كنت أصدقك يومها لأنني كنت أصدق أنك بريئة فعلاً.

أغمضت عينيها، وهي تتألم من الجهد الذي تحاول فيه منع نفسها من الصراخ: كنت بريئة... كنت بريئة!

ـ جسدياً، ربما.. ولكن أخلاقياً لا. كنت تعرفين تماماً ما أنت فاعلة. وكنت تعرفين ما أشعر به... لقد قدتني بيدك الى حبك. أليس كذلك حبيبتي؟

همست متألمة:

ـ لوك... لا تكن قاسياً... ماذا ستستفيد لو...

تلاشى صوتها وهي تتأكد من عدم وجود التراجع في عينيه. فاكمل عنها:

ـ لو أنني أخذت ما أريد؟ لو استغليتك كما تستحقين؟ أنا

فعلاً أريد منك أكثر من الاكتفاء الآني. أريد أن أسمعك تتوسلين إليّ... وقبل أن انتهي منك، هذا ما ستفعلينه بالضبط... ستتوسلين إلي!

ـ أبداً! لن أفعل هذا أبداً!

ـ بلى... ستفعلين، صدقيني!

جلس في السرير بسرعة أذهلتها، وأمسك بازرار قميصه مردفاً:

ـ هناك الليلة، وليلة الغد، وكل الليالي القادمة... فإلى متى تظنين نفسك قادرة على التحمل؟

صفعته بكل قوتها، حتى انحنى رأسه جانباً، بعدها اطلقت صرخة ألم وذهول لأنه رد لها الصفعة بأخرى. وقال متجهماً:

ـ لست بالسيد المهذب، وهذا ما عليك أن تتذكريه أيضاً. قد ترين لي واجهة متمدنة، لكن تحت هذه الواجهة مازالت تلك الشخصية الفظة التي تعرفينها جيداً.

ـ لم تكن يوماً فظاً.. أنا لم أدعك هكذا!

ـ لقد دعوتني بالاخرق الساذج.. وهذه التسمية تعني ما ذكرت. أنذرك اليزابيت. ستحصلين على ما تقدمينه. قد انوّع في الرد، لكن النتيجة ستكون نفسها.

فهمست:

ـ خنزير قذر.

فارتسمت على شفتيه بسمة سخرية، كرهتها وأجاب:

ـ حتى الآن.. فقط. من الافضل لك ارتداء ثيابك إلا أذا كنت تنوين البقاء في الفراش ما تبقى من هذا اليوم.

انحنى يلتقط لها الفستان، والمشد اللذين رماهما الى الارض ونظر إليهما ساخراً:

ـ أسوأ اختراع لهذا العصر! ماذا حل بالجوارب والحمالات؟

لم ترد عليه، بل تسللت من الجهة الاخرى للسرير فالتقطت روبها ولفت نفسها به. كان شعرها قد انسدل من عقدته، فانسال حول وجهها، متموجاً تموجاً نحاسياً قاتماً، يخبىء قسمات وجهها عنه، وقالت:

ـ أريدك أن تخرج من هنا.

فرد عليها:

ـ أنا زوجك، وسأبقى هنا. حقائبي في السيارة... سأذهب لأحضرها.

حين وصل الى الباب، التفت نحوها وهو يسوي سترته فوق كتفيه بحركة عنيفة.

ـ لا تهربي.

لكن.. أين ستهرب... أين المفر...

ليس هناك مكان تهرب إليه، ولا أحد تستطيع أن تلجأ إليه... وعليها أن تواجه قدرها بنفسها.

● ● ●

٣ ـ سلاح ذو حدين

حين عاد لوك، كانت بيت في الحمام تقفل الباب عليها خلال لحظات مجنونة بعد ذهابه. فكرت في أن تتسلل، وتقفل الباب الخارجي خلفه، لكن عقلها الواعي منعها عن هذا العمل السخيف. فلوك فولكنر الذي رأته على حقيقته الآن، لن يفكر مرتين في تحطيم النافذة ليتمكن من الدخول. وإن حطم النافذة فعلاً فماذا سيفهم عمّال المنزل من هذا.

حين خرجت كان يجلس منتظراً في أحد المقاعد المريحة، وقرب الباب حقيبة جلدية.

ـ لقد اخرجت ثيابي بنفسي. اطلبي أحداً ليضع الحقيبة الفارغة في مكان ما حتى احتاجها.

ـ ومتى سيكون هذا؟

ـ هذا وقف على أمور عديدة.

ـ أنا واثقة من هذا، فلماذا ترضى بعشرة آلاف وأنت قادر على الحصول على المزيد.

ـ إذا كانت الفكرة تروقك وتريحك، فلك أن تفكري في الطريقة التي تشائين. أما الآن فسأستحم. أظنك كنت تستحمين أثناء جلوسي هنا؟

ـ كنت بحاجة لأغسل عني لمسات يديك. وقد لزمني الأمر

www.elromancia.com

مياهاً كثيرة كثيرة.

بدا عليه المرح بكل وضوح:

ـ ستحتاجين في المستقبل الى المزيد منها. لا.. ليس الآن، ربما فيما بعد.. حتى من هم في شهر العسل يحتاجون الى وقت راحة. سنمضي بقية اليوم بهدوء.. وهذا للتعود على بعضنا بعضاً... وبامكانك التحدث عما فعلته طوال ست سنوات.

ـ لن أسِرَّ أو أخبرك شيئاً.

ـ اسمعي يا عزيزتي، عوّدي نفسك على الفكرة.. سوف تعطينني كل ما أريد في النهاية، ولن يهمني الوقت وإن طال.

نظرت إليه ملياً وهو يدخل الحمام.. لا شيء لديها ترد به عليه، ولا شيء يصدر عنها قد يجعله يصغي إليها.. لقد أغلق عقله تجاه أي تعطف منها منذ زمن بعيد... كما أغلق الباب الآن وراءه.

اندفعت الى الخزانة المثبتة في الحائط، وفتحتها.. وشاهدت ما كانت تريد مشاهدته، بذلتين، سترة التويد التي كان يلبسها يوم التقته ثانية للمرة الأولى وعدة سراويل وعدة قمصان مطوية بعناية وترتيب وبضع ملابس داخلية.. ليس هناك الكثير.. لكن أليست ملابس الرجال قليلة عادة؟

لمست القماش ونظرت الى اسم صانعها فوجدت أنها جميعها صناعة أمريكية أصلية ذات تفصيل ممتاز. لم تجد في الجيوب ما يعطيها تفاصيل أكثر... إن حياته في كاليفورنيا ستبقى سراً عليها.

خرج من الحمام بعد دقائق يلف منشفة كبيرة بشكل عشوائي على خصره. تقدم الى الخزانة فتناول منها ملابس داخلية نظيفة. ارتدى ملابسه وظهره إليها، فأحست بالدم يتصاعد الى وجنتيها،

ومع ذلك لم تستطع إشاحة بصرها عنه، إذ كانت تعي تماماً نعومة بشرة ظهره الملوّحة بالشمس.. أحست بالضيق يخنق صدرها، فتعالت خفقات قلبها حتى كادت تصم أذنيها. عرفت خلال لحظات مجنونة معنى الرغبة في شيء تقاوم مشاعرها كلها ضده.

التفت قبل أن تستطيع التحرك، فارتفع حاجباه عجباً:

ـ ألم تشاهدي رجلاً يرتدي ملابسه من قبل؟

ـ لم يحاول رجل عرض هذا المشهد أمامي من قبل. لقد فعلت هذا عمداً... لماذا؟ أكنت تأمل أن يجذبني منظرك إليك؟

وكان في ضحكته وقاحة:

ـ القلق الحقيقي ليس حين ارتدي بل حينما أبدأ بالخلع! أنت آمنة الآن.

ـ أي نوع من الرجال أنت؟ لا بد أن هناك خللاً رئيسياً في دماغ انسان يخطط للانتقام منذ ست سنوات!

ـ لم أخطط لشيء.. حتى اللحظة التي شاهدتك فيها تجتازين الشارع نحو المقهى، وقبل ذلك لم يكن لدي أي نية حتى في البحث عنك.

فحدقت فيه مصدومة:

ـ لكنك قلت...

فأسكتها مقاطعاً:

ـ أعرف ما قلت. لن أدّعي أنني لم أفكر فيك.. ذلك العرض الذي قدمته لي كان هدية من السماء، قبلته على هذا الاساس.

ـ الجحيم أقرب إليك مني.. لن تحس بأنك في بيتك إلا حين تصل الى هناك!

www.efromancia.com

- أراهنك القرش بعشرة أنني سألتقي هناك بأصدقاء قدامى.. توقفي عن تصرفك الطفولي، فلن تؤثري عليّ بكلامك القذر.

تنفست عميقاً، وهو يرتدي كنزته، منتظرة خروج رأسه من تحت الياقة لتسأله:

- قل لي فقط: الى متى تنوي الاستمرار بهذا؟

- القدر الذي احتاج... قلت لك هذا.

- بعدها؟

- تعنين عندما اكتفي؟ أتعترفين بأن هناك فرصة لي؟

- لا أعترف لك بشيء. أجبني عن سؤالي!

- تريثي حتى تعرفي. فالمدة تعتمد عليك كلياً.

اعترفت أن من غير المجدي ضرب رأسها في حائط حجري. لوك مصمم على اذلالها.. وهي مصممة على عدم الوقوع في الذل. يجب أن يكون هناك طريقة ما لإخراجه من منزلها، من حياتها، ويجب عليها أن تجد هذه الطريقة.

التقاها جيرارد وهي تدخل المكتبة قبل العشاء، والارتباك ظاهر عليه. وقال لها بحياء:

- ربما ليس من حقي أن أتكلم آنسة اليزابيت. لكنني فهمت أن السيد فولكنر كان وجوباً سيغادر المنزل بعد الغداء.. هل نجهّز له غرفة خاصة؟

لم تلتفت بيت الى الرجل، لكن عليها أن تجيب! ردت بهدوء قدر استطاعتها:

- لن يحتاج الى غرفة أخرى.. سيشاركني غرفتي.

- لكنه ليس... أنت لم... أرجو صفحك.. لا بد أنني أسأت الفهم.

- لابأس عليك.

لقد خسرت الكثير من احترامه حين عقدت صفقتها تلك، وخسران المزيد لن يشكّل فارقاً كبيراً. دخل لوك في تلك اللحظة، فسجلت أساريره تغييراً بسيطاً لدى رؤيتهما معاً:

- ها أنت هنا.. كنت أتساءل أين ذهبت.

والتفت الى جيرارد:

- أريد احتساء الشاي، فلماذا لا تنضم إلينا؟

في ظروف أخرى، كانت ستضحك لهذا الاقتراح، لكنها عرفت أن لوك إنما يدفع الامور الى حافة التأزم. فأجابت بهدوء:

- جيرارد لا يشرب الشاي معنا... ستتناول العشاء متى شئت.

نظر إليها لوك متسلياً بعد خروج الرجل:

- أهذا هو الدرس الأول؟

- التجاهل المتعمد، لا ينفع فيه التعليم. لا تزعج نفسك في جر جيرارد الى سياسة «كلنا أخوة» فهو لا يهتم بهذا النوع من الاخاء.

- بما أنه محافظ ضيق التفكير مثلك.. فلن استطيع فعل شيء معه، فعاداته راسخة فيه.. أما أنت فمازلت صغيرة وقابلة للتعلم.

- ثمة شيء آخر تود أن تعلمني إياه؟

ناولها فنجان الشاي فاكملت:

- لا أرغب فيه.. شكراً.. فأنا لم أطلبه.

- أعرف أنك لم تطلبيه. لكن بما أنني صببته، أرجو أن تشرفيني ولو بتناول رشفة منه. تفضلي.

لاحظت بريقاً خطيراً في عينيه.. ولولا شكها في أنه يريدها أن ترفض، لرفضت. لكنها هزت كتفيها دون اكتراث وأخذت

www.elromancia.com

الفنجان فرفعته الى فمها ترتشفه ببطء حتى آخر قطرة فيه. وقالت:

ـ أنا لا أجامل عادة... بل أعني ما أفعل وأقول. تفضل الفنجان الآن.

تناول منها الفنجان ووضعه مع فنجانه على الطاولة.

بينما كان يستدير، وجدت نفسها فجأة بين ذراعيه، اللتان لفهما حول خصرها من الخلف، بحيث عجزت عن الحراك. همس في أذنها:

ـ لدي شعور بأننا سنصل الى أكثر من تفاهم قبل أن ينتهي هذا الامر. سيدة فولكنر!

ـ لا تناديني بهذا الاسم!

ـ لماذا؟ هذا هو اسمك، إن كلمة «سيدة» وحدها لا تكفي يا حبيبتي.

مد يده تحت ذراعها ليداعبها، فأحست ببشرتها تقشعر، بينما أحست أصابعه بالاستجابة الطوعية منها.

ـ هذا لأبقيك منتعشة الذاكرة. (تمتم).

ثم صفعها على مؤخرتها:

ـ وهذه ليعرف كل منا موقفه.

تناولا العشاء بصمت.. هو غارق في أفكاره وهي تفكر كيف لرجل أن يتغير الى هذا الحد. لوك الشاب كان صارماً بعض الشيء لكنه لم يكن قاسياً إطلاقاً... لا بد أن هناك أسباباً غير التي جرت بينهما كانت السبب في هذا التحوّل.

سمعته يقول وهما يتناولان الحلوى:

ـ أظن أن علينا مستقبلاً الجلوس الى طرف المائدة نفسه.. فلهذه القاعة الضخمة تأثير سخيف.

كانت بيت تفكر في الشيء ذاته قبل أن يتفوه بلحظات لكن ردها الفوري كان نقيضاً:

ـ أفضل الامر على حاله.

ـ ألأنه تقليدي؟ إذن سنبدأ تقليداً جديداً.. اخطري جيرارد بالأمر حالاً.

بعد العشاء وتجنباً للجلوس في جو المكتبة الحميم، قصدت غرفة الجلوس حيث أدارت التلفزيون، وجلست أمامه مصممة على عدم التفوه بكلمة إلا عند الضرورة... فليسلِّ لوك نفسه!

جلس لوك مسترخياً في مقعد مجاور. يتصرف بطريقة عادية حتى أنها أحست برغبة عارمة في القيام بشيء ما.. أي شيء.. لإزعاجه. لكن.. ماذا؟ لم تجد ما قد يؤثر فيه... إنه صلب كالدبابة وله خطورتها ذاتها.

قال لها وهو يراقب تقلبات أساريرها:

ـ أعطيك بنساً لمعرفة أفكارك، أم أنها تساوي أكثر؟

ـ بالنسبة لتفكيري فيك، لا تساوي شيئاً. قد تظن نفسك رجلاً قوياً.. كذلك أنت بالنسبة لي لا شيء. لا شيء أبداً!

استمر في التحديق إليها دون أن يتأثر، وحين تكلم كان صوته عادياً:

ـ لو ظننت أن تمديدك على ركبتي وضرب قفاك يفيدك لمنحت نفسي هذه المتعة.. لكن هذا سيكون تدليلاً لك. ثمة مكان واحد ستتعلمين فيه احترامي يا اليزابيت.. وهو الفراش!

وقف ببطء متعمد:

ـ إن خير الأمور حالياً النوم باكراً. فهذه ليلة عرسنا، أنسيت؟

ـ لست مستعدة للنوم بعد. فماذا ستفعل؟

www.elromancia.com

- سأحملك... ومن قال إن المواقف الرومانسية لم تعد موجودة؟

انحنى وحملها بسرعة.. بعد ذلك وجدت نفسها مستلقية على صدره، لا تقاوم لتتحرر، ولا تضربه بيديها. فتفكيرها بما هو قادم، جعلها يائسة وذكرى ما حدث بينهما بعد الظهر ما يزال حياً في ذاكرتها.. أن يغتصب ما يريد منها رغماً عنها أمر، وأن يقنعها ويغويها لتمنحه، أمر آخر... وعليها أن تقاوم، وتستمر في المقاومة، بجدوى أو دون جدوى.

حين بدأت المقاومة، أمسك يدها وثبتها خلف ظهرها وقال هامساً:

- سيمضي جيرارد ليلة سيئة لو شاهدك هكذا، فأنت لا تريدين أن يعتقدك تعسة مع زوجك الذي اخترته بنفسك. أليس كذلك؟

- حسناً.. انزلني.. سأسير على قدمي.

- لا مجال.. فلست أنوي الطواف حول المنزل الذي تعرفين حناياه أكثر مني. سأنزلك حين نصل الى سريرك. أعني.. سريرنا. ادخري أنفاسك.. فستحتاجين إليها.

رماها على السرير، فاستلقت دون حراك، تنظر إليه، بحثاً عن دليل رحمة في وجهه، ولم تجد.. راقبته وهو يخلع كنزته، ويفك أزرار قميصه... فسرت فيها رعشة لم تكن غير سارة تماماً.. بعد لحظات ستحتويها هاتان الذراعان فتتحركان فوق جسدها، تطلبان منها التجاوب، تجاوباً تعلم أنه سيصعب عليها أن تمنعه رغم ما تحس به تجاهه. لوك خبير.. خبير في الحب. يعرف أين يلمس، وأين يطيل اللمس، وأين يضع الالغام ليفجر دفاعاتها، حتى تتخلى عن كل مقاومة. هذا ما جرى بعد الظهر،

وهذا ما سيجري الآن. ولا مفر من ذلك.

علمت أنها تريد لهذا أن يحدث، تريده برغبة سدت عليها كل طرق الرفض... قد يتكفل الغد به... أما الليلة فأمامها لوك، الرجل الذي تزوجته... الرجل الوحيد الذي جعلها تشعر بما تشعر به الآن.

في تلك اللحظات نظر إليها وكأنه يقرأ أفكارها.

- قولي الكلمة بيت.. أريد سماعها منك.

عاد إليها وعيها وتعقلها وكأن ماء بارداً انصب على رأسها. فتصلب جسدها بين ذراعيه.. وإذا بها في ثوان تهبط من قمة الرغبة الى قعر الرفض، عندها امتدت يدها بشراسة لتمسك بخناقه ولولا استعداده لكادت تقتلع رأسه. وصاحت:

- أيها النذل! الحقير! العفن.. يا ابن الزانية!

أدهشتها قدرته على كبح جماح غضبه. وهذه حقيقة ظهرت بانفراج شفتيه ببطء وسخرية.

- ما هذه اللغة القذرة الصادرة من فم سيدة مجتمع راقٍ؟ يجب أن أنظف لك لسانك!

تعرف أنه قادر على هذا. وأنه قادر على أي شيء يجده ضرورياً لاذلالها. لذا لم تعد تعبأ.. بدا صوتها بالنسبة لها خشناً:

- ابتعد عني!

حركته السريعة ليطيع أمرها أذهلتها، فقد ثبتها الى الفراش بيديه كي يجلس.. ومرر نظره فوق جسدها عامداً. وقال متصنعاً العجب:

- لم ننته بعد... لعلك لا تحتاجين الى النوم باكراً.

استدارت على وجهها فدفنته في الوسادة، وشدت الغطاء

فوقها. سمعته يتحرك في الغرفة، فإذا بالباب يفتح وبالمياه تتناهى إليها من الحمام.. لم تتحرك إلا حين سمعت الباب يقفل.. فرفعت رأسها لتنظر الى غرفتها المألوفة لها والدموع تغشى بصيرتها... كل ما يحدث الآن بينهما خطط له. لقد سيطر عليها لوك كما يسيطر على دمية... لكنها لم تصبح دمية بين يديه بعد. فهي الآن لم تخضع له كل الخضوع ولن تخضع.. مهما كانت طريقته..

كان يرتدي روب الحمام حين خرج، الروب الذي تستخدمه هي أحياناً، روب والدها. طوله الذي وصل عليه الى تحت ركبتيه بقليل، كان يصل الى الارض عندما ترتديه... ضبطت نفسها تفكر: لوك القديم أفضل من الجديد، لكنها كبحت تدفق المشاعر بصلابة. لوك القديم ذهب ولن يعود. وعليها مواجهة الواقع، فهذا الرجل الواقف هنا، يخلو من أية رحمة.

وسألها:

ـ أجاهزة أنت؟.. عظيم.

ـ سأستخدم الحمام كذلك. لكن بعد وضع المطهرات فيه!

ـ استعملي الصابون المطهر، فأنا لا أطيق رائحة السائل المطهر. ولا تتأخري وإلا سأدخل لأحضرك. ليلتنا لم تبدأ بعد.

بقيت تحت الدوش الوقت الذي تجرأت على التلكؤ فيه. حين أجبرت نفسها على الخروج من تحت الماء، علمت أن ثيابها في الخارج، وهذا لم يترك لها خياراً إلا الخروج لاحضارها.

وجدت لوك مستلقياً في الفراش على ظهره وبداه تحت رأسه... لم يتحرك لينظر إليها، أثناء اجتيازها الغرفة لتتناول قميص نوم نظيف من الدرج.

التفتت فوجدته في الوضع نفسه. لكن عينيه الآن، مغمضتان، وتنفسه عميق ورتيب. تعجبت، كيف لرجل جذاب مثله أن يكون له هذا التفكير وهذه الاخلاق. القساوة والخبث ليسا إلا عنصرين من عناصر تكوينه.

قال لها دون أن يفتح عينيه:

ـ أقادمة أنت الى الفراش أم انهض لأسحبك؟

في مطلق الاحوال، قررت بيت على مضض، أن من الخير لها الاحتفاظ بالمبادرة، زائفة كانت أم لا.

بينما كانت تخلع الروب تحركت ببطء الى الفراش فمدت يدها واطفأت المصباح القريب من السرير، ثم اندست بين الاغطية الى جانبه... وانتظرت ما أمكن، تسمع دقات قلبها وكأنها رعد في رأسها!

مرت دقيقتان، ثم استدار لوك الى جانبه.. مديراً ظهره إليها، واضعاً مسافة بينه وبينها.

ـ استريحي... لقد قررت أن نعطي أنفسنا فترة راحة... أمامنا وقت طويل.

ردت عليه ساخرة دون تفكير:

ـ هل جبن قلبك؟

وكان عليها أن تعض لسانها قبل أن تقول هذا. فقد جاءها الرد السريع:

ـ قلبي استطيع السيطرة عليه، لكن لو استمريت بما نحن فيه فلن أضمن أن لا أعيد الكرة مرات ومرات، ولست أنوي أن أريح أعصابك بهذه السهولة. اخلدي الى النوم بيت.

استلقت بصمت تحدق في السقف والظلام. تحس بهبوط معنويات مفاجيء... فالامر لم ينته بعد، هذا ما قاله لوك.

في الغد سيبدأ كل شيء من جديد.. صحيح أن لديها الآن سلاحاً تستخدمه ضده، لكنه سلاح ذو حدين.

فهل هي مستعدة لاستخدامه؟

• • •

٤ ـ ارحل عني

لم يكن لوك في الفراش عندما صحت بيت من نومها. ولولا أثر رأسه على الوسادة لظنت نفسها تحلم.

كانت الساعة تشير الى السابعة والنصف، وهذا وقت مبكر حسب مقاييسها، لكه ليس كذلك بالنسبة له على ما هو واضح. ولو نزل سعياً للفطور فسيصاب بخيبة أمل، فجيرارد معتاد على احضار فطورها الى فراشها عند الثامنة والنصف وهو لم يتلق أوامر تفيد العكس.

عاد لوك الى الغرفة بعد نصف ساعة، مستخدماً كوعه لدفع الباب فيداه كانتا مشغولتين بحمل صينية محملة بالمآكل. وقال:

ـ التقيت جيرارد وهو قادم الى هنا مع الصينية، ففكرت في أن أوفر عليه المشقة. أظن التوست والمربى لك، واللحم والبيض لي.. لقد أحسن صنيعاً، فأنا أحب بدء نهاري بمعدة مليئة.

جلست في السرير ومدت يدها لتجر طاولة متحركة ضيقة فوق السرير، فعلق لوك:

ـ فكرة رائعة... أيوجد مثلها من جهتي؟

ـ إنه سرير مزدوج، ومن الطبيعي أن يكون هناك واحدة أخرى.

www.elromancia.com

- لتكون جاهزة للضيوف؟

- أنت الرجل الوحيد الذي دخل غرفتي وشاركني هذا السرير... حتى هذا لم يكن باختياري!

- لكنك تعرفين ماذا أريد.

- أعرف ما قلت إنك تريد. وأظن هذا جزءاً من الأمر كله!

جذب الطاولة الصغيرة نحوه وقال:

- أخبريني المزيد.. استطيع الاصغاء وأنا آكل.

كان من حسن حظه أن السكين التي تحملها لقطع الزبدة، ولا يمكن أن تؤثر في عضلاته القوية، فقد تملكها جنون بأن تطعنه بها لتؤذيه، لكنها قالت بصوت محتقر:

- أنت تسعى وراء كل شيء أليس كذلك؟ تود ايصالي الى درجة لا استطيع فيها قول لا.. عندها يسقط كل شيء في احضانك!

- إنها فكرة جيدة! سأصبح عندها سيد عزبة «كوبرن فارم»! يجب أن أبذل جهداً مضاعفاً!

دفعت بيت طاولتها بكراهية مفاجئة:

- لماذا لا ترحل عني؟ لن تكسب شيئاً لوك.. لن أسمح بأن تكسب!

رد بهدوء.

- سنرى.

صبت القهوة بيد مرتجفة وسط صمت مطبق.. فليهدِّدها ما شاء، فهي لن تستطيع القيام بشيء تجاهه. فيجب أن تظهر للغرباء أن كل ما بينهما على ما يرام لأنها لن تطيق الظهور أمام أحد كأنها مطية له. سألته بعد قليل للحديث ليس إلا:

- أين ذهبت هذا الصباح؟

- ذهبت أركض.. ميلين عبر الريف. في كاليفورنيا، اعتدت على الركض ساعتين في الصباح. فهذا ينعشني طوال اليوم.

وضع الشوكة والسكين من يده مكتفياً، ثم مسح فمه بالمنديل:

- فطور رائع... مع أنني لا أحب الاكل في غرفة النوم.

- هذا يوفر الوقت على الخدم.

- سبب لا مبرر له. ما تقصدينه أنك لا تستطيعين إخراج نفسك من السرير باكراً.

الاستيقاظ باكراً مقبول حين يكون أمام المرء شيء للاستيقاظ من أجله!

قالت تدافع عن نفسها:

- أنا لا أتناول فطوراً كبيراً يستحق أن آكله في غرفة الطعام.

- حسناً.. يجب أن تأكلي.. فهذا ضروري للصحة الجيدة. على كل الاحوال بما أنني أتناول الفطور فسنأكل معاً في غرفة الطعام صباح الغد. والآن عليك النهوض من سريرك، فثمة أشياء أود القيام بها اليوم.

• كادت تسأله ماذا يريد أن يفعل.. حين رن جرس الهاتف.. لم يتحرك لوك من مكانه حين مدت يدها لترد. كان الصوت في الطرف الآخر مألوفاً لها، فيه مرح وفضول.

- بيت... أيتها الخبيثة! سمعت بالخبر ليلة أمس! لن أسامحك على عدم اخباري.. أنا من بين كل الناس! تعرفين أنني لن انبث ببنت شفة لو طلبت مني هذا!

ابيضت عقد اصابع بيت وهي تشد على سماعة الهاتف، واستعادت لون بشرتها الذي شحب بعد أن تقبلت ما هو حتمي... فالقيل والقال بدأ سريانه، ولا بد أن البلدة كلها

www.elromancia.com

عرفت، وعليها مواجهة الامر.

ـ آسفة ڤاليريا.. لقد شئنا أن لا نخبر أحداً.. اسمعي، لا أستطيع التحدث الآن. سأتصل بك فيما بعد.

ـ أتعنين أنك مازلت في الفراش؟

كان الصمت بحد ذاته يحمل الغمز واللمز، ثم لما تبعته الشهقة ازداد تأججاً:

ـ حبيبتي.. الساعة التاسعة الآن! لا بد أن من تزوجته رجل «رجل»! من هو على كل الاحوال؟ كل ما عرفته هو أن اسمه فولكنر أليس كذلك؟ السيدة فولكنر.. لا استطيع التصديق. بيت! بيت.. أمازلت معي؟

ـ أنا معك.. ربما ستعرفينه عندما تشاهدينه. لقد مضى زمن طويل منذ أن رأيته فيه.

ـ أقابلته في الماضي؟ لا أذكر شخصاً اسمه فولكنر.. فقط...

هذه المرة طال الصمت أكثر، حتى تعالى صوت تنفس الفتاة عبر الخط. حين تكلمت من جديد كان لصوتها رنة مختلفة:

ـ بيت.. أنت لا تعنين... لوك فولكنر؟

ـ هو نفسه. لقد عاد الى هنا منذ بضعة أيام.

ـ لكن.. حبيبتي.. إن هذا لرومانسي حقاً! لوك فولكنر.. أجل أذكره جيداً. طويل أسمر، ذو جاذبية فتاكة! لم أفهم من قبل أبداً كيف تركته يفلت من يدك!

هذه كذبة واضحة... ڤاليريا تعرف تماماً كيف ولماذا.. فلأنها صديقتها الحميمة أطلعتها على كل أسرارها، ولم تكن علاقتها بلوك استثناء... لقد أخبرتها بكل ما كان يجري بينهما، والآن، وهي في الرابعة والعشرين لم تستطع إلا أن تحس

بالخجل مما فعلته. أما في الثامنة عشرة فقد كان هذا لها جزءاً من الاثارة والمتعة.

سمعت الفتاة الاخرى تقول:

ـ اسمعي ماذا سأفعل.. سأقيم لكما حفلة! فلتكن الليلة! لا أعتقد أن أحداً سيمتنع عن الحضور إذا سمع الخبر!

ـ الليلة؟ ڤاليريا.. هذا سخيف! لا يمكنك فعلاً...

ـ لماذا لا يمكنني؟ فعلت هذا من قبل! أتحداك. ستكون حفلة الليلة بالنسبة لما استطيع فعله لا شيء، صدقيني! يجب أن تكون الليلة.. إلا إذا أردت أن أزورك حالاً؟ لن أقوى على الانتظار حتى أراكما.

حملت الضحكة تلميحاً ما من جديد.. فحاولت بيت إقناعها. حتى وهي تعرف أن لا جدوى:

ـ قد لا نستطيع الحضور الليلة!

ـ ولماذا؟ لستما ذاهبين في شهر عسل، ولن تقضيا كل دقيقة في الفراش. أقول لك ماذا.. إذا لم تحضري، فسنأتي كلنا إليك!

لم تكن تمزح، وبيت تعرف هذا، فما تريده ڤاليريا تحصل عليه.

ـ حسناً.. سنكون هناك.

نظر إليها لوك وهي تضع السماعة رافع الحاجبين:

ـ هل تسمحين باخباري الى أين يفترض بنا الذهاب الليلة؟

ـ ليس من المفترض، بل من المحتم. فإذا لم نذهب، فستطل علينا ڤاليريا برفقة جميع المدعوين...

ـ ڤاليريا؟

ـ ڤاليريا نيوتن.. لا أظنك...

www.elromancia.com

ـ بل أذكرها. تلك الحمراء الظريفة. أبوها يعمل في التجارة... وعمها يملك مصنعاً لصناعة السفن. لقد توظفت لديه عدة سنوات بعد انهاء دراستي.

إذن فتلك الحمراء الظريفة ستمتع نفسها الليلة، وأضاف لوك:

ـ أعتقد أن اسمي لم يكن غريباً عليها. ما الحد الذي تعرفه عن علاقتنا السابقة؟

ـ كل شيء! أخبرتها كل شيء!

ـ كنت بلهاء ثرثارة صغيرة.. من حسن حظك أنني لم أعرف ذلك في حينه.

ـ لماذا؟ وماذا كنت ستفعل؟

ـ لو عرفت لقتلتك... وهذا ما سأفعله فيما لو علمت أنك ستسرّين لها شيئاً.

مد يده فجأة ليمسك بأطراف ثوبها عند العنق، وشدها نحوه وعيناه باردتان قاسيتان كالفولاذ:

ـ ما يحدث بين شخصين هو شأنهما الخاص.. لا دخل لأحد فيه.

لم تجد بيت الشجاعة الكافية لترد بسرعة، بل سارعت تتوسل:

ـ كنت في الثامنة عشرة يومها. أتظن أنني لم أتعلم شيئاً منذ ذلك الوقت؟

ـ لم تتعلمي الكثير. لكنك ستتعلمين الآن...

لمع الفولاذ بحدة في عينيه:

ـ هذا مثال عملي لما قد أفعله... لو اعطيتني الفرصة. فلا تستهيني بي.. بيت.

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك.. أتسمح بأن تتركني؟ أتمانع في أن أغادر السرير الآن؟

تركها على الفور:

ـ هيا اذهبي.

كانت ترتدي الروب حينما أردف:

ـ سأقابل بيل ديكر اليوم لتناول الغداء، أتودين مرافقتي؟

ـ لمَ لا؟ ليس لدي ما أقوم به.. متى ستقابله؟

ـ في الواحدة ظهراً.. وذلك في مطعم «ادوارد الكبير».. غداء شعبي.. لذا فالملابس الرسمية غير ضرورية.

ـ إنه لمن حسن الحظ أنني لا أملك الفراء، وان مجوهرات أمي محجوزة في المصرف. هل يجرح معطف جلدي احساسك المرهف كثيراً؟

نظر إليها شذراً:

ـ كانت ملاحظة غير حكيمة.. ضعيها على حساب قلة ذوقي.

لم تستطع بيت الاجابة، فقد أخذ منها زمام المبادرة.. وقالت:

ـ متى اتفقت مع بيل؟

ـ قبل يوم أمس. لقد أخبرته بأمر زواجنا لأنني لم أشأ أن يسمع الخبر عرضاً.

ـ كما سمعه أصدقائي؟

ـ كان هذا اختيارك أنت.. أنت من اردت التكتم.

هزت كتفيها واتجهت الى الحمام.. لم تزعج نفسها باقفال الباب وراءها فلا فائدة تذكر. خلعت قميص نومها ودخلت تحت الدوش، وقفت كما هي تحاول ترتيب الامور في ذهنها. كم

www.elromancia.com

سيمر من وقت قبل أن يتعب لوك من لعبة القط والفأر هذه؟ يبدو مما حدث بالامس أنه يجد الامر مملاً.. وكأنه يعتبرها زوجة لا يحق لها أن تتذمر. لم يكن بحاجة لاستخدام القوة كذلك، فقد علمها الكثير عن نفسها، فهي بين ذراعيه شخص آخر. تنسى كل شيء إلا ما يفعله بها.

ثم ماذا؟ أيمكن لشخصين بعيدين عاطفياً، أن يكون لهما أمل في العيش معاً بتناغم؟

الرد الحتمي.. هو لا!

• • •

كان لمطعم «ادوارد الكبير» واجهة مزيفة من طراز القرن السادس عشر. موضوعة تحت الحراسة الحكومية، لأن جدارين من جدرانها يعود تاريخهما فعلاً الى ذلك القرن. حياهما بيل، وقادهما الى القاعة الطويلة، مفاجئاً بيت التي ظنته سينتظرهما في قاعة الاستقبال. وهذا تفكير متغطرس تماماً من قبلها.. ولقد آن الأوان لتتخلص من هذا النوع من التفكير.

قال لهما:

ـ لم تستطيعا كتم الخبر جيداً، أليس كذلك؟ لقد سألني على الاقل ستة أشخاص عنكما. لكنني بقيت متحفظاً بالطبع.

حاولت بيت ابعاد السخرية عن صوتها:

ـ شكراً لك. أظن أن الامل في اخفاء الامر ضعيف أساساً.

ـ بالنسبة لكما هذا صحيح، فأنا على سبيل المثال لو تزوجت لما لاحظ أحد ذلك.

سألته في محاولة لاستدراج حديث:

ـ أيعني هذا أنك لست متزوجاً؟

ـ لم أجد الفتاة المناسبة بعد.. أنا لست كبعضهم.. يعرف

دائماً ماذا يريد، حتى ولو اضطر الامر الى العودة من كاليفورنيا للحصول عليها!

هز رأسه ملتفتاً الى لوك:

ـ أتعلم.. لم أستطع بعد استيعاب ما حدث. يوم الاحد الماضي وصلت البلدة.. وها أنت الآن...! مبروك على أي حال.

ـ كان يجب أن تهنئني أنا أولاً.

ـ لا.. إن السيدات أولاً يا صديقي.. أرجو لكما حياة هنيئة.. وأنا أعني ذلك حقاً.

حتى الآن لم تكن بيت متأكدة مما أخبر لوك صديقه، لكنها فهمت الآن أنه لا يعرف شيئاً إلا الحقائق الاساسية. وزاد لوك في التضليل حين مد ذراعه عامداً حول كتفيها ليجذبها إليه.. كانت السخرية في بسمته موجهة إليها فقط.

ـ نشكرك... بعض أصدقاء بيت يقيمون لنا حفلة الليلة. لماذا لا تأتي معنا؟

اجبرت بيت نفسها على الخضوع للياقة:

ـ أجل.. افعل هذا.. ستكون على الرحب والسعة.

لكن عيني بيل أخبرتاها أنه لم ينخدع بلباقتها.. وقال:

ـ لدي موعد سابق الليلة. أنا أقدّر لكما هذه الدعوة..

التفت لوك الى المقصف وقال:

ـ سأرى ماذا حل بطلباتنا.. ابقيا حيث أنتما.

ثم نهض مسرعاً.. فساد الاثنان صمت قطعه بيل أولاً:

ـ هل ستسافرين معه الى كاليفورنيا، أم تخططان للبقاء هنا؟

ردت من غير تردد:

ـ أوه.. هنا.. فأنا لم أترك بلدي من قبل!

www.elromancia.com

نظرته كانت مستغربة:

ـ أمر مؤسف، فلقد بنى حياة كاملة هناك.. ولا أظن والده يرغب في المجيء الى انكلترا كذلك... مع ذلك يمكنكما أن تزورا والده.

للمرة الأولى تحس بيت بالراحة لاقتراب لوك منها:

ـ أظن هذا.. ها قد وصل الغداء.

الفطائر المصنوعة على الطريقة البيتية، كانت لذيذة، ووجدت بيت نفسها تأكل فطيرتها كلها، لكنها تركت الأطعمة الباقية دون أن تمسها.. أما الرجلان فأكلا كل ما أمامهما، واحتسيا بعدها كوباً من المرطبات. وتكلما كثيراً، تاركين بيت أحياناً تجلس دون أن تشاركهما الحديث. بعد قليل نظر بيل الى ساعته:

ـ يبدو أنني سأطبق المثل: أحبكما ثم اترككما .. كان يجب أن أعود الى عملي في مركز البلدية منذ خمس دقائق... يجب أن نجتمع في إحدى الامسيات قريباً. صحيح أنني الآن دون رفيقة دائمة، لكنني أستطيع دائماً أن أجد لي واحدة. فهناك فتيات غير متزوجات أكثر من الرجال في هذه البلدة. أتعرفان هذا؟

ووقف على قدميه قبل أن يرد أحدهما، ورفع يده بالتحية:

ـ أراكما فيما بعد.

انهت بيت شرابها دون أن تنظر الى لوك، لكنها كانت تحس بنظراته. وأخيراً سألها:

ـ حسناً..؟ كيف وجدت حياة النصف الآخر من الناس؟

فابتسمت ساخرة:

ـ جئت الى هذا المطعم سابقاً.

ـ جئت معي.. منذ زمن بعيد. وهو مكان لا يروق لشلتك.

لم تستطع الجدل معه بشأن هذا، خاصة وأن هذا الحديث ليس بذي أهمية.. قالت له:

ـ أعجبني صديقك. لم أتذكره الى أن رأيته.

ـ لا يظهر أنك تذكرته أبداً. إنه لمن حسن الحظ ليس حساساً تجاه هذه الامور... أترغبين في شراب آخر؟

هزت رأسها نفياً، فالتقت عينيه الرماديتين:

ـ ماذا تنوي أن تفعل بعد الظهر؟

أطال صمته عامداً.. ثم اتسعت ابتسامته... وقال:

ـ سأضع أمامك خياران: إما أن نعود الى المنزل لننام.. وإما أن آخذك في نزهة بالسيارة لاحتساء شراب في مكان ما.. الامر عائد إليك.

ردت متصلبة:

ـ بعد التفكير بالامرين.. اختار النزهة.

ـ فتاة ذكية.. حسناً. هيا بنا.

دهشت لأنها تمتعت بتلك النزهة.. قاد السيارة أميالاً وأميالاً عبر أراضٍ ريفية، حتى وصلا الى قرية صغيرة.

قال لوك وهما يحتسيان الشاي في نُزل ريفي قديم:

ـ متى يتوقعون وصولنا الى الحفلة؟

ـ إذا لم نصل قبل التاسعة، فسنجد الجميع عندنا. طلبت من جيرارد تحضير عشاء.

ـ في هذه الحالة، يجب أن نفكر في العودة. كم شخصاً قد أواجه؟

ـ هذا يعتمد على من استطاعت ڤاليريا إيجاده. دزينة على الأقل. وعندها لن يكون الامر نزهة فحسب.

www.elromancia.com

- أيعرف أحد لماذا تزوجتني؟

- لا. فلا علاقة لأحد بهذا.

- لابأس.. لن أخبر أحداً. وإذا لم تفعلي فسيضطرون الى القبول بنا كما نحن.

بقيت بيت صامتة طوال طريق العودة الى المنزل. تحس كما لم تحس من قبل بوجود الرجل الى جانبها. لو أن الامور كانت مختلفة منذ ست سنوات.. لو أنها هي كانت مختلفة... لكانا يتنزهان اليوم مع بضعة أطفال في المقعد الخلفي للسيارة..

ابتسمت عندما تراءت لها هذه الفكرة لكنها حتى إن كانت يومها مستعدة للزواج من لوك، فوالدها كان سيعارض.. ذكرى غضبه حينما اكتشف علاقتهما من صديق له ما تزال حادة في ذهنها.. ربما كان من سوء الحظ عدم اكتشافه علاقتهما وهي في أوجها. على الاقل كان ذلك سيوفر على لوك الاذلال على يدها، وكان سيوفر عليها ما تمر به الآن.

● ● ●

٥ - رحل ولن يعود

كانت بيت زميلة ڤاليريا نيوتن في المدرسة الداخلية.. ومنذ ذلك الحين أصبحتا من أعز الأصدقاء. كانتا تقومان بمعظم الاشياء معاً، بما فيها سنة من حياة التقشف حين كانتا شريكتين في شقة في لندن، فستذاك جربتا مختلف أنواع الوظائف، ولم تجدا في أي منها الاكتفاء الذي تبحثان عنه. فكان أن قررتا العودة الى بلدتهما، والبدء بعمل خاص بهما، أما هذه الفكرة فترجع الى ڤاليريا، وقد وافقت عليها بيت ونتج عن هذا ذلك «البوتيك» الصغير المرتفع الاسعار في بلدة «درم» على نهر التاين الذي يمر في طريقه الى مصبه ببلدتهما، والذي تديرانه على أساس ستة أشهر لكل منهما، مما يشعل فيهما روح المنافسة المطلوبة للمواظبة وابقاء الامور مثيرة للاهتمام.

كانت بيت تفكر في هذا وهما في الطريق الى شقة ڤاليريا.. فبعد أقل من أسبوعين سيحين دورها في ادارة عجلة العمل. لكنها حتى الآن لا تستطيع رؤية المستقبل بوضوح، فلو كان هذا الزواج أمراً طبيعياً لفكرت في أن تبيع حصتها لڤاليريا كي تركز جهودها على تأسيس عائلة. لكن، نظراً للظروف الراهنة، على كل هذا أن ينتظر.

استرقت نظرة الى الوجه الصارم القابع خلف المقود، محاولة

www.efromancia.com

أن تتصور مستقبلاً أبعد من الحاضر... لكنها فشلت في التغاضي عن واقع واحد لا يقبل الجدل. إلا وهو أن لوك الآن زوجها... قانونياً... وفعلياً... وإلغاؤه دون تعاونه لن يكون سهلاً.

صدمتها فكرة برزت من تلقاء نفسها: لا تغيريه إذن! ارضي بما لديك... فقد تكون الأمور أسوأ من هذا بكثير.

الى أي حد من السوء؟ لوك يحتقرها لما هي عليه ولما كانت عليه، مع أنه يريدها ومازال يريدها. لكن دون احترام متبادل لن تنجح علاقتهما ولن يصلا الى ما له قيمة، وهذا يعني أن زواجهما فاشل حتى قبل بدايته. والسؤال: كيف لها أن تتحرّر منه؟

كان هناك عدة سيارات متوقفة أمام المنزل القديم الانيق حين وصلا في التاسعة إلا عشر دقائق. فتحت ڤاليريا بنفسها لهما باب شقتها الأرضية من المبنى، أنيقة في ثوب حريري أزرق يتلائم ولون عينيها. صاحت:

ـ لقد حضرتما!.. مرحباً أنت.. ألا تذكرني؟

ـ تعرفت إليك من بعيد. لا أحسبنا تعارفنا رسمياً.

ضحكت ڤاليريا:

ـ اللوم يقع على زوجتك. تريدك لنفسها فقط. الجميع ينتظرون إلقاء التحية على الزوجين السعيدين.. ليس هناك عدد كبير من المدعوين لكنهم عدد كاف لاقامة حفلة جيدة.. أمستعدان؟

زجت نفسها بينهما تمسك كل منهما من ذراع. لم تكن بيت في الواقع مستعدة لمواجهة من في الداخل.. لكن أأعجبها ذلك أم لا.. فسيحدث. صمت الجميع عن الحديث الجاري حين

دخول الثلاثي الى غرفة الاستقبال.. عبر الغرفة شاهدت بيت صديقها القديم ويليام واريت، ينظر إليها مباشرة والتوتر يغزو أساريره قاصّاً قصته. حاولت أن تبتسم له فلم تستطع، فما من اعتذار صامت قد يغفر لها هجرها له والزواج من لوك. لذا عليها أن تنفرد به لتفسر له، لتتحدث إليه، لتحاول أن تشرح له... والله وحده يعرف ما قد تقوله.

صاحت ڤاليريا معلنة بطريقة مثيرة لم تكن ضرورية:

ـ ها هما! العروس والعريس!

عادت الحياة الى الجمع المتجمد وكأنما بكبسة زر. فرفعوا الكؤوس وتقدم كلٌ بتعليق ضاحك. وما هي إلا لحظات حتى وجدت بيت نفسها تفترق عن لوك. تأبطت ڤاليريا ذراعه، وراحت تدور به على المدعوين تقدمه لهم. وكانت تتلقى منه إجابة عن أسئلتها العديدة ابتسامة صغيرة، وتصميماً على عدم الانجراف في شيء. أما بيت فقد كانت تمر في الظروف نفسها تحاول تجنب أي سؤال يطرح عليها بالنسبة لزواجها السري المباغت، مجيبة إجابة لوك ذاتها، «إنهما معاً أرادا هذا».

تنهدت إحدى صديقاتها المتزوجات:

ـ إن هذا لرومانسي! يعود من أميركا بعد هذه السنوات كلها ليخطفك هكذا! قال لي أحدهم إنه عمل يوماً لدى عم ڤاليريا.

ـ عمل في مؤسسة! وأشك في أن يكون عمها يعرف اسمه. ثم سافر الى كاليفورنيا بعد أن رفضته.. أنت كنت دون شك مجنونة! إنه جذاب جداً! من العجيب أن تتركه فتيات كاليفورنيا يفلت من أيديهن!

تقدم ويليام نحوها معلقاً على ما قالته المرأة:

ـ ربما لم يجد فيهن ما يعرف أنه سيجده هنا. كان يجب أن

www.elromancia.com

تتزوجيه في الجولة الأولى بيت، ولو فعلت ذلك لوفرت عليه عناء السفر.

تنحنحت المرأة معتذرة، فهي تعرف كما يعرف الجميع حقيقة مشاعر ويليام تجاه بيت.. أجبرت بيت نفسها على النظر الى العينين اللوزيتين اللتين أطل منهما ألماً علمت أنها المسؤولة عنه. فلو اعطته الرد الحاسم منذ بدء علاقتهما، لتعلق قلبه بفتاة أخرى. أو على الاقل، لما كان لديه عذر للنظر إليها بهذه المرارة كما يفعل الآن. وقالت له بنعومة:

ـ آسفة ويليام.. لم أكن منصفة بحقك. صحيح؟

ـ لا.. لم تكوني منصفة مطلقاً.

ـ آسفة جداً.. حدث هذا فجأة.. وهذا كل ما في الامر.

حدجها بنظراته لحظات قبل أن يسأل:

ـ أكان هو من تنتظرين طوال هذه السنوات؟

أحست بالضحك يتجمع في حنجرتها وكان عليها أن تقاوم لتقضي عليه:

ـ أعتقد هذا... ربما دون وعي مني.

رد بشراسة مما أدهشها قليلاً:

ـ لكنه ليس كفئاً لك! وليس مناسباً لـ «كوبرن فارم».

ـ إنه الآن زوجي.. وعليك أن تقبل هذا ويليام.

وصلت ڤاليريا وجمع وراءها:

ـ سنشرب الآن نخباً، وهذا يقتضي أن تكوني وزوجك معاً... آسفة ويليام حبيبي.. لكنني سآخذها منك.

جذبتها ڤاليريا عبر الغرفة الى حيث يقف لوك مع جماعة من الاشخاص ثم قالت لها بصوت خفيض همساً:

ـ احذري يا حلوتي... فلديك رجل غيور متملك هنا.

ـ اصمتي ڤال.

ـ لمستُ وتراً حساساً فيك.. حسناً.. هل ندمتِ على ما فعلتِ..

لمست ذراع لوك:

ـ زوجتك سيدي.. احتفظ بها الى جانبك حتى استعجل الآخرين.

ظهر التحدي والغضب في عينيه وهو يشدها الى جانبه متمتماً:

ـ ابتسمي! من المفترض أن تكون هذه مناسبة سعيدة.

إنه محق.. وعليها أن تظهر وجهاً بشوشاً كي تنقذ كبرياءها.

حل منتصف الليل وبدأ المدعوون يرحلون، كانت بيت ولوك آخر المغادرين. أمام الناس اضطرت بيت للاذعان لما يقول ويأمر.. أما وقد غدوا وحدهما الآن فأحست بتأثيره على مشاعرها.. وهذا التأثير لا ينطبق عليها فقط بل كان ظاهراً على عدة أشخاص هذه الليلة، خاصة النساء. وكان على ڤاليريا أن تصرح بهذا على طريقتها الفريدة من نوعها:

ـ لا ألومك على اختطافه... إنه أكثر رجولة من أي رجل عرفته في حياتك! عندما تريدين تركه، دعيني أكون أول العارفين.

لكن لو عرفت الحقيقة لضحكت حتى يطير رأسها.

كانا في منتصف الطريق الى المنزل حين اجبرت بيت نفسها على الكلام:

ـ لوك.. يجب أن نتحدث. الموقف كله سخيف!

ـ إذن.. هيا، تابعي كلامك.

ـ حسناً.. اعترف أنني حاولت شراءك، ولا ألومك لما تشعر

www.elromancia.com

به. أعتقد أنني سأحس بالشيء نفسه فيما لو كنت مكانك، لكنني كنت سأنتقم بطريقة أخرى.

ـ تعنين أنك ما كنت قبلت الزواج أساساً. نعم أظن أن هناك طرقاً أخرى لتلقينك درساً، لكن ما أريده هو أكثر من اكتفاء عابر. ربما كنت محقة هذا الصباح.. ربما «كوبرن فارم» وكل ما يمثله له دور كبير فيما جرى. أمضيت اربعاً وعشرين عاماً في هذه البلدة أراقب طريقة عيش النصف الآخر من البشر فيها من بعيد. ألا تعتقدين أنه يصعب عليَّ عدم المشاركة في هذه اللعبة، لعبة الطبقات الاجتماعية؟

ـ والآن أنت تشارك في اللعبة؟ أهذا ما تعني؟

قال بعد صمت مفكر:

ـ الامر لا يختلف كثيراً.. فالناس هم الناس.

ـ لكنك انسجمت كل الانسجام معهم الليلة، وكأنك ولدت ارستقراطياً..

السخرية بدت ثقيلة في كلامه:

ـ شكراً... هذا أمر مريح.

اصطبغ وجهها بحمرة قانية:

ـ لم أقصد الاهانة.

ـ ألم تقصدي؟ تعلّمي بعض الأشياء من صديقتك ڤاليريا التي لا تملك ادعاءات زائفة.

صمتت قليلاً، ثم قالت بلهجة مختلفة:

ـ أتجدها جذابة؟

ـ جداً.. معظم الرجال يجدونها جذابة.

ـ أكثر مني؟

نظر إليها بدهشة:

ـ في المظهر أنتما متساويتان.

ـ لم أسأل عن هذا.

ـ أعرف... أنتما من صنفين مختلفين، فهي تعرف تماماً ما تريد.

وتحصل عادة على ما تريد، ذكرت بيت نفسها بذلك، فأحست بالتوتر. لكن ليس هذه المرة، فلوك ليس للعرض والطلب. إنه زوجها! لكن هذا مازال غير حقيقي وإن كان واقعياً. ما إن تذكرت الى أين هما ذاهبان الآن حتى ارتعشت ترقباً. إذا كان لوك بحاجة الى ذلك الحد من الاكتفاء.. فلماذا لا تمنحه إياه... وتنهي الامر؟ لن تكذب لو قالت له إنها ترغب فيه. فبعد ليلة أمس يصعبُ عليها الانكار.. لكن.. بعد ذلك؟ حسناً، هذا رهن بالمستقبل، ومن يدري قد ينتج شيئاً عن هذا الزواج.

وجدا غرفة النوم دافئة.. لم يحاول لوك مباشرة أن يلمسها، بل خلع سترته، وفك ربطة عنقه، وتوجه الى باب الخزانة.

حاولت بيت التصرف بعفوية مماثلة. فرمت معطفها دون اكتراث على الكرسي، ودخلت الحمام وهي تحس باعصاب معدتها تنقبض وتتقلص.. إنها تتصرف كعروس... كعروس جديدة تواجه رجلاً يقتحم عليها حياتها للمرة الأولى... ليلة أمس كان الامر مختلفاً. لكنها الليلة ترغب في معاملة من نوع آخر. إنها بحاجة الى لمسة منه والى حزم منها وقرار... فهذه هي الطريقة الوحيدة لتجبر نفسها على التجاوب لمشاعر تخجل منها في الاساس.

نظرت الى المرآة المقابلة على الجدار، وادركت في قرارة نفسها أن لا جدوى من خداع نفسها بعد الآن. فما تفكر فيه لم

www.elromancia.com

يكن أكثر من احتسابات حاجات رغبتها، التي اشعلها فيها لوك عمداً. ولو كان لديها قوة شخصية لرفضت الخضوع لهذه الرغبات.

وقفت تحت مياه الدوش وقتاً طويلاً، تحاول التخلص بالمياه المتدفقة الساخنة، من أي شكوك باقية في فكرها أو جسدها.. ولأنها كانت تعطي ظهرها للباب ولأن ضجيج الماء كان يسد أذنيها، لم تحس بوجود لوك في الحمام إلا بعد أن مد يده ليوقف تدفق الماء:

- لن تتحرري مني بسهولة (قال ساخراً) لقد مللت الانتظار.

لفها بمنشفة سميكة ناعمة دافئة، ثم حملها بيدين قويتين لا تقبلان المقاومة خارج المغطس.. فسارعت الى الهمس احتجاجاً وقد بدأ يجفف لها جسدها:

- لا تفعل!.. لوك.. أرجوك!

همس بالقرب من اذنها:

- أنت لا تعنين هذا فعلاً. ألا تعرفين أنني أحس بما يقوله لي جسدك؟ أنت تريدين ما أريد.. بيت، أليس كذلك؟

- أجل.

خرجت منها الكلمة انتزاعاً ترافقها آهة صغيرة، كانت كلمة لم تستطع إيقافها... لم تتحرك مبتعدة عنه، لأنه كان يحكم إمساكها خير إحكام، ولأن لا مهرب من هاتين اليدين الحميمتين. قوة الشخصية تلك التي كانت تحاول لملمتها بدأت تنسل مبتعدة عنها... تاركة المجال رحباً للصوت الملح الذي كان يسأل إذا كان الامر يهم. إنها مدينة للوك بهذا، مدينة له به منذ سنوات. ألم يحن الوقت بعد لتسدُّد دينها؟ عندها قد يتمكنا من البدء من جديد.

انزلقت المنشفة عنها تاركة إياها مرتجفة تحت تأثير لمساته.. حتى أحست أنها انتهت.

سألها بصوت متمتم أجش السؤال القديم نفسه:

- قولي لي.. قولي لي يا بيت.

لم تع أنها تقول شيئاً، لأنها ما عادت تعي شيئاً إلا ما تحس به:

- أريدك لوك. يا إلهي كم أريدك!

حملها بين ذراعيه حتى قبل أن تنهي كلامها... وتلاشى الزمن وهو يحملها الى غرفة النوم... وكأنما حملتها دوامة قوية الى مقر لا تفكير فيه.. لم تكن تريد أن تتركه أبداً.

كانت الشمس تتسلل من النافذة الجانبية حين استيقظت بيت.. استلقت لحظات تنظر بسكون الى السقف تتساءل لماذا تحس بهذه السعادة والكمال، لكن سرعان ما جعلت الذكرى قلبها يخفق.

ادارت رأسها لتنظر الى الوسادة قربها، مشاهدة أثر الرأس الآخر الذي استراح هناك، وتدفقت مشاعرها بطريقة وجدت صعوبة في كبحها... ليلة أمس كانت مسلوبة اللب بكل ما في الكلمة من معنى... حملها الى الجنة، واعادها، رجل أحبها مرة بقلبه وجسده. أكان يمكن للوك الشاب أن يشعرها بما أشعرها به لوك الرجل ليلة أمس؟ يبدو ذلك بعيد الإمكان.. فالرجل الذي احتواها ليلة أمس بين ذراعيه يعرف الكثير عن النساء، أكثر من شاب في الرابعة والعشرين من عمره، يحتاج الى أن يتعلم.

الاحساس المؤلم الذي اجتاح مشاعرها، لم تستطع وصفه. لقد أحست بالغيرة من كل الاخريات اللواتي مررن بحياته، وأحست بمشاعر السعادة نفسها التي اختبرتها. لكنهن لم يكن

www.elromancia.com

متزوجات منه... وهذا هو الفارق.. وبما أن ما حدث كان أمراً رائعاً لها، فلا بد أن يكون كذلك له. وهذا يعني انه أصبح بينهما شيء قد يبنيا عليه أشياء أخرى. ولهذا أهمية لأي زوجين.. خاصة لهما. فحب رجل كلوك ليس صعباً.. خاصة الآن بعد أن كسب احترامها. كان عليه أن يكسب هذا الاحترام منذ زمن بعيد، قبل أن يرحل. ربما ليس بالطريقة نفسها، لكن بالقول لها بالضبط رأيه فيها، إذ كان ذلك سيفيدها في ما مضى. لكن بعد آخر لقاء بينهما حين صدته بفظاظة، ابتعد عنها ولم تره إلا في المقهى، منذ بضعة أيام.

بضعة أيام فقط... هذا مستحيل.. أجرت هذه الأحداث كلها في هذه المدة القصيرة؟... ربما الآن، وقد سوّيت الخلافات الرئيسية بينهما، قد يسافران الى مكان ما.. يمضيان شهر عسل يُبعدان خلاله أشباح الماضي. فلابأس أن يمضياه في كوخ صغير على شاطىء سندرلاند مثلاً.. بعيداً عن الضجيج. وهناك ستطهو بضع وجبات، على أن لا يطلب منها الكثير.

أغمضت عينيها فالتقطت فيهما صورتهما وهي تقول له: أريدك.. أريدك.. أريدك!

أجفلها قرع خفيف على الباب وردها الى الواقع، فأحست بالندم لأنها أضاعت فرصة ترتيب نفسها لتبدو أكثر جاذبية أمامه... لكن.. لن يقرع هو الباب، إلا إذا أصبح مختلفاً عن الرجل الذي تزوجته. شدت الغطاء فوق جسدها ونادت:

ـ ادخل.

كان جيرارد يحمل صينية لشخصين كما فعل بالأمس. ربما رأى لوك أن تناول الفطور في غرفة الطعام غير مناسب.. لكن الواقع أن هذا واجبها، لا واجبه، وعليها أن تذكر جيرارد بالأمر.

ـ ضع الصينية على الطاولة أرجوك.. السيد فولكنر خرج للركض كعادته، وسيعود في أية لحظة.

ـ لا أظنه ذهب ليركض أنسة اليزابيت، فسيارته ليست هنا.

التقط مغلفاً عن الطاولة، وسلّمها إياه:

ـ أظنها رسالة من السيد فولكنر.. تركها على الطاولة في الردهة.

مدت بيت أصابع أصبحت باردة فجأة فتناولته منه وهي غير منتبهة الى أن كتفيها العاريتين انكشفتا. كان اسمها على الغلاف واضحاً، مكتوباً بذاك الخط الذي وقّع على وثيقة الزواج منذ يومين، الهاجس التحذيري كان كالصرخة العميقة في داخلها.. يؤلمها كما لم تتألم من قبل:

ـ شكراً لك جيرارد.

أجبرت نفسها على الجلوس. وفتحت المغلف.. فإذا الورقة المطوية الوحيدة داخله تحمل جملاً قليلة متقاربة.

«بعد ما نلت ما أصبو إليه وما أريد، ما عاد هناك ما يقال بيننا. وإذا كان الامر سيريحك، أقول، الانتقام لم يكن لذيذاً كما توقعت. لقد أخبرتك الحقيقة حين قلت إنني لم أعد الى هنا سعياً إليك، مع أن الفكرة كانت موجودة في عقلي الباطني. لقد وقعت الفرصة بين يديّ فاستغليتها... حسناً.. لم أجدك تختلفين عن الماضي، فما زلت لا تعبأين بمشاعر الآخرين كما كنت. لكن ربما بعد ما حدث ستفكرين ملياً قبل أن تزجي نفسك في مأزق. لن تريني ثانية.. سأعود الى كاليفورنيا. إبطال الزواج الآن غير وارد.. علينا الانتظار على الاقل سنتين حتى نحصل على طلاق خالٍ من المشاكل. أما إذا كان الطلاق ضرورياً لك، فتذرعي بما شئت وسأزودك بما تحتاجين لاثبات

أعذارك، وستجدين عنواني على ظهر هذه الرسالة. اعتني بنفسك، ولا تنسي ما تعلمته.. لوك».

لم تدرِ كم من الوقت جلست دون حراك تحدّق في الرسالة وهي لا تكاد تراها، ربما ساعات، ربما أيام. لكنها حين حركت نفسها كان ذلك بطيئاً، رمت الرسالة على الغطاء وأنزلت قدميها الى الارض ثم سارت الى الخزانة المثبتة في الحائط، فوجدتها فارغة كالصدى الذي في داخلها... لقد رحل إذن.. ولن يعود.

أكانت تتخيل ما حصل ليلة أمس؟ هل خانتها مشاعرها؟ لم تكن واثقة، لم تعد واثقة من أي شيء... إلا أن لوك، رحل.

● ● ●

اتصلت بها ڤاليريا بعد ظهر الاثنين وقالت بمرح:

ـ فكرت في أن أترك لك كل نهاية الاسبوع.. هل فكرت في المحل؟ أم أن هذا السؤال سخيف؟

ـ بل فكرت فيه.. سأستلم إدارته الاسبوع المقبل.

ـ حقاً؟ أتعلمين، كنت واثقة من أن رجلك سيطلب منك تركه. إذا لم يكن ينوي البقاء في انكلترا فقد تضطرين للرحيل معه.

ـ متى قال لك إنه لن يبقى هنا؟

ـ لم يقل بالضبط. إنه انطباع فهمته مما قاله. إنه ليس ممن يبوح باسراره... رائعاً كان زواجك من رجل يسيطر على نفسه مثل لوك، ورائع هو في الفراش كذلك.

ـ قال... أنا بحاجة لأتحدث معك.

ـ أنت تحدثينني الآن.

ـ ليس هكذا.. لدي.. ما أقوله لك.

كان الصمت أبلغ من الكلام.. سرعان ما قطعته ڤاليري:

ـ سأحضر إليك حالاً.

وصلت بعد نصف ساعة. ادخلها جيرارد الى المكتبة حيث جلست بيت متكورة على مقعد وثير قرب النار.

سألتها دون مقدمات:

ـ ماذا حدث؟ تبدين مرهقة.

ـ أشعر بالارهاق، وأنا خجلة من هذا الشعور. يجب أن يكون لدي ارادة أقوى... لقد هجرني لوك.

ـ ماذا؟ اسمعي.. دعيني أفهم.. تعنين أنه سافر في عمل؟

ـ أعني أنه عاد الى أميركا... الى بيته في كاليفورنيا.

ـ أعرف أين هو بيته. لكن لماذا؟ لماذا فعل هذا بهذه السرعة؟ هل رفضت السفر معه؟

ـ لم يطلب مني... إن زواجي هو أقصر زواج في سجلات البلاد كلها.

ـ أعتقد أن هذا آخر ما تحتاجين إليه الآن.. لماذا لا تخبرينني القصة كلها... منذ البداية.. هل عاد لوك الى هنا بحثاً عنك أم لا؟

ـ أجل.. ولا. آسفة لكن الامر كذلك. لولا التقاؤنا صدفة في مقهى «غرينهاوس» يوم الاثنين الماضي، لما بحث عني ربما.

ـ التقيتما ثانية يوم الاثنين وتزوجتما يوم الخميس؟ هذا اسرع مما تصورت. متى طلب منك الزواج؟

ـ لم يفعل.. أنا من طلبت منه. أتذكرين أنني أخبرتك عن ذلك الشرط في وصية والدي؟

ـ ذاك الشرط المتعلق ببيع المنزل إذا لم تتزوجي قبل أن تبلغي الخامسة والعشرين؟ أذكر هذا.. أتعنين أنك طلبت منه الزواج منك للمحافظة على المنزل؟

www.elromancia.com

ـ في ذلك الوقت.. أجل.

ـ وعرف بهذا؟

ـ أجل... لا تنظري إليّ على هذا النحو! كنت يائسة. وظهر لوك فجأة أمامي في وقت كنت فيه بأمس الحاجة الى من يساعدني، وهذا كل شيء.. كنت أقصد اتفاقاً عملياً... مقابل مبلغ من المال.

ـ وكان له أفكار أخرى؟

ـ لقد خدعني.. ومزق الشيك.. قال إنه لا يريد المال.

ـ لكنه يريد شيئاً آخر. لست بحاجة لقول ما هو، استطيع التكهن. لا تلوميه حبيبتي، نظراً للظروف.. فقد عاملته بقسوة منذ ست سنوات، فاستغل هذه الفرصة للانتقام.

رفعت بيت رأسها بحدة:

ـ وكأنك تظنينه على حق!

ـ لا.. لكنني أتعاطف مع مشاعره الى حدّ ما. على كل، إذا كان هذا كل ما يعنيه لك، فأظنك سعيدة لرحيله. أهذا كل ما يعنيه لك؟

ـ في الاساس، نعم.

ـ إذن لقد كنت على حق.. إنه رائع في الفراش!

تصاعد غضب بيت فجأة بمرارة:

ـ اصمتي! سئمت من سماع هذا منك! ألا تهتمين بشيء آخر من الحياة؟

ـ لا أهتم بكثير من الامور.. من يخدع من يا بيت؟ كل هذا كلام! أنا أعرف وأنت تعرفين. وإذا بدا كلامي هوائياً فلأنني لا أعرف طريقة أخرى للكلام.

ـ آسفة، لم أقصد أن أرد عليك بحدة.

ـ لكنني أعرف لماذا.. فأنت تحبينه.. أليس كذلك؟ ولهذا تجلسين هنا يتآكل الالم قلبك.

ارتفع الرأس النحاسي الشعر بحدة:

ـ أحببته في يومين؟ دعك من الهراءات.

ـ لا هراء في الامر.. أنا أقع في حب رجل كهذا خلال ثانيتين، ولكن علاقتك به عمرها ليس يومين... أتذكرين؟ عندما أمضيتما في الماضي عدة أسابيع معاً. إن ذاك الوقت أنتج دون شك بداية ما.

احتجت بيت:

ـ لكنني لم أحبه منذ ست سنوات.

ـ لأنك لم تسمحي لنفسك بحبه، فهو لم يكن يليق بمركزك الاجتماعي. اذكر كيف كنت تتحدثين عنه.. كنت تتحدثين عنه بطريقة لم يحدث أن تحدثت عن أحد بمثلها. ربما اقنعت نفسك بأنك كنت تلعبين، لكنه أثّر كثيراً فيك. والغلطة التي ارتكبها انه تركك تعرفين شعوره نحوك، فاعطاك سلاحاً ضده. كنا معاً متعجرفتين في ذلك السن، وأظن أن اهلنا يحملون الوزر الكبير لما كنا عليه. أعرف أن والديّ كانا يعطياني أي شيء لأكون سعيدة، ولطالما أقسمت أن لا أرتكب الخطأ نفسه مع أولادي.. هذا إذا أنجبتهم...

نظرت بيت الى صديقتها وكأنها لم ترها من قبل، وقالت بدهشة:

ـ لم أكن أعرف أنك تفكرين حقاً في بناء عائلة.. فلطالما قلت إنك تفكرين في الزواج قبل سن الثلاثين.

ـ هذا لأنني لم التقِ بعد برجل لا أستطيع العيش دونه، فأنا أريد ذلك النوع الفريد من العلاقات الذي لا يحدث سوى مرة

www.elromancia.com

في الحياة والى الابد. النوع الذي في آخره خاتم ذهبي.

وتغيرت لهجة ڤاليريا من الجد الى المرح عامدة متعمدة:

ـ كفانا الحديث عني.. فنحن لا نتناقش بأموري.. ماذا ستفعلين الآن؟

رفعت بيت كتفيها:

ـ ليس هناك ما استطيعه إلا البدء باطلاق عملية اجراءات الطلاق على أساس الهجر، وأظن أن جوزف ديكارتس سيفعل هذا لي.

ـ وهل تريدين الطلاق منه؟

صمتت بيت طويلاً، ووجهها جامد، ثم قالت معترفة:

ـ ليس بهذه الطريقة.

ـ إذن اذهبي وقولي له هذا.

ـ الى أميركا؟

ـ ولمَ لا؟ ماذا تساوي بضعة آلاف من الاميال لامرأة تحب؟

كان الكلام فكِهاً، لكن عينيها كانتا في غاية الجد وهي تردف:

ـ إذا كان يستأهل أن تحتفظي به، فهو يستأهل أن تقاتلي لاستعادته... من يدري.. قد يكون هذا ما يأمل به.. لعله يريد برهاناً يدل على أنك تهتمين به... والسؤال الذي يجب أن تطرحيه على نفسك: هل تحبينه؟

ـ لن ينجح هذا.. يجب أن تفهمي، فلو كنت أهمه لما رحل هكذا.

أوقفت رد ڤاليريا بدفع يدها:

ـ لا.. هكذا هو الامر. ولا أريد المزيد من المناقشة.

تعمدت أن تكون ابتسامتها مشرقة:

ـ والآن.. بشأن المحل. أتودين استلامه هذا الاسبوع؟ سيعطيك هذا فرصة لتوضيب حقائبك.

ـ أستطيع السفر الى الكاريبي متى شئت.. أواثقة من أنك لن تغيري رأيك؟

هزت بيت رأسها:

ـ أبداً. لقد حافظت على المنزل بزواجي، وهذا هو المهم.

بقيت تقنع نفسها بهذا عدة أيام، حتى صدقت نفسها أخيراً. لذا جاءت زيارة جوزف ديكارتس لها يوم الاربعاء مفاجئة.. بدا لها مرتبكاً وهي تراقبه يشرب القهوة في المكتبة. كان كمن يوشك على فعل ما لا يعجبه، مع ذلك فهو لسوء الحظ ضروري.

ـ ما الامر جوزف؟ ما الذي حدث؟

ابتسم بقلق:

ـ لقد حدث الكثير.. سمعت أن زوجك عاد الى أميركا. أصحيح أنه لن يعود ثانية للعيش في «كوبرن فارم»؟

من قال له هذا؟ عائلة جيرارد؟ ڤاليريا؟.. من؟ هزت كتفيها دون اكتراث، أيهم من قال؟

ـ لا.. لن يعود.

بدا عليه الاسى والقلق.

ـ أوه.. يا إلهي.. هذا يجعل الامور صعبة يا عزيزتي.

تصاعد الخوف في نفسها فجلست على طرف كرسيها تأهباً:

ـ أهو بخصوص المنزل؟ جوزف، لقد وفيت بواجبي تجاه الوصية. ولا أذكر أن في الوصية شيئاً آخر.

ـ أعلم.. لكن ليست هذه هي القضية.

وعاد إليه على غير عادة التردد:

www.elromancia.com

ـ أترين.. الامر يتعلق بتوقيعه أوراق مهمة، وأخشى أننا نريد توقيعه قبل اتمام بقية الاجراءات.

ـ توقيعه؟ لست جاداً!

ـ بلى. فمن دون توقيعه تعودين الى نقطة البداية. أنا آسف بيت، لكن لم يتبادر الى ذهني أن أحذرك بل لم أتصوّر أنه سيرحل بعد فترة وجيزة.

التوبيخ جعل وجنتيها تحمران، خاصة لأنها تعرف أنها تستحقه.

ـ لقد غششت.. أليس كذلك؟ أعتقد أن هذا حكم ضدي.

هز رأسه موافقاً، لكن محبته لها برزت في عينيه:

ـ عرفتك منذ ولدت.. وتعرفين أنني أقوم بأي شيء في سبيل سعادتك. يجب أن تسافري إليه بيت.. وتقنعيه بالعودة.

ـ لماذا؟ لماذا يجب أن أسافر؟ ألا يمكن إرسال الاوراق ليوقعها؟

ـ الامر مستحيل. يجب أن أكون شاهداً على التوقيع شخصياً.. أتمنى لو أن هناك طريقة أخرى.. والدك حاول تغطية كل الاحتمالات، بما فيها التأكد من أن من سيتزوجك لا يطمع بمالك. لم يبق أمامك إلا شهر. والوضع غير قابل للتأخير.

همست برعب:

ـ لا أستطيع... لا أستطيع السعي إليه!

رد جوزف بصراحة:

ـ إذن ستخسرين المنزل. أترضين بهذا؟

ـ لا..! أوه جوزف.. أنا دائماً أسيء الى كل شيء! ماذا سأفعل؟

ـ قلت لك ما يجب أن تقومي به. أعيدي لوك فولكنر الى

هنا، فما من طريقة أخرى!

أغمضت بيت عينيها، فتخيلت أمامها الجسد الطويل النحيل القوي القاسي القسمات، وكأنه يقف أمامها.. أعيديه الى هنا.. لكن كيف؟

قالت بصوت أجش:

ـ حسناً.. سأسافر إليه.

• • •

www.elromancia.com

٦ ـ وحدها في الظلام

حين خرجت من الطائرة لفحها هواء ساخن جعلها تحمد الله لأنها فكرت مسبقاً في ارتداء ملابس خفيفة. بعد قضاء عشرين دقيقة في حمام الطائرة المجهز تجهيزاً جيداً، أحست أنها انتعشت من تعب الرحلة، وأنها باتت مستعدة لمواجهة أي شيء. لكنها الآن، وقد وجدت نفسها في بلد غريب، بعيدة آلاف الأميال عن موطنها، لم يعد لها كل تلك الثقة.

أمضت اسبوعاً تجهّز نفسها استعداداً لهذه الرحلة، ولم يعد أمامها للوصول الى هدفها إلا ثلاثة أسابيع فقط... ولقد قررت بعد إمعان في التفكير، أن التقدم المباشر باتجاه ما تبغي هو الطريق الوحيد. عليها أن ترمي نفسها تحت رحمة لوك، وكلها أمل أن يكون غضبه قد برد. إن من الصعب عليها رمي كرامتها تحت قدميه بهذه الطريقة.. لكن إذا كان هذا يعني.. أن تستحوذ على البيت، فستجبر نفسها على المضي في الامر. وستدفع له مصاريف رحلته وثمن التذكرة، وهذه المرة قد تقنعه بقبول مبلغ معقول تعويضاً له عن جهده ووقته. الثمن الوحيد الذي لن تقبل أن تدفعه، هو ما سبق أن دفعته! فهي تفضل أن تخسر البيت على أن تتحمل الذل مرة أخرى.

عندما استلمت الحقيبة، جرتها على حمّالة متحركة ثم

خرجت من مبنى الوصول تبحث عن سيارة أجرة، على أن تبحث بعدها عن فندق.

كان سائق التاكسي الواقف أمام صف من سيارات الاجرة يستند الى مقدمة السيارة يقرأ جريدة.. رجل نحيل في الخمسين، لا يلقي بالاً للرسميات في ملابسه. قال لها دون اكتراث:

ـ حسناً.. ضعي حقيبتك في الصندوق، إنه مفتوح.

ـ ألن تضعها أنت؟

ـ أنا سائق سيدتي، ولست حمالاً.. إذا أردت المساعدة فابحثي عن حمّال.

كادت تقول إنها لم تشاهد حمّالاً لكنها صمتت، فمما سمعته، أن لأهل البلاد هوساً اسمه المساواة.. ليس فقط بين الجنسين بل بين الطبقات كذلك.

لكنها سمعت صوتاً آخر يقول:

ـ اسمحي لي.. دعيني اساعدك.

وتقدم سائق سيارة أخرى يبتسم معتذراً، فوضع الحقيبة في صندوق السيارة الأولى. كان شاباً رياضياً ملابسه تختلف عن ملابس السائق الآخر.

ـ انكليزية؟ إنها زيارتك الأولى؟

ابتسمت له بحرارة:

ـ شكراً..

ـ أهلاً بك... قد أراك فيما بعد.

سألها سائقها وهي تصعد الى سيارته.

ـ هل تفكرين في فندق غالي الثمن أم زهيده؟

ـ أريد أفخم الفنادق.. وأفضله فندقاً يقع على الميناء.

إذا كان سيتاح لها فرصة رؤية المدينة، فيجب ألا تترك مكاناً

www.elromancia.com

دون أن تزوره.

. لم تخيب المدينة ظنها فقد كانت نسخة طبق الاصل عما شاهدته من صور لها. شوارعها ضخمة وبناياتها عالية وبدا جمال الميناء الكبير من نافذة غرفتها في الفندق أبعد من أي توقعات لها. ربما لو سار كل شيء على ما يرام، قد تتاح لها فرصة لاستكشاف المدينة عن كثب، ولمعرفة المزيد عن معالمها.

لم تتجاوز الساعة بعد العاشرة والنصف صباحاً.. إن حمّامها لن يستغرق منها أكثر من ربع ساعة.. فلماذا الانتظار الى الغد، أمامها يوم كامل؟ فلتضرب الآن قبل أن تخذلها اعصابها.

كانت في سيارة أجرة أخرى، عند الحادية عشرة... سارت بها في شارع يحاذي الخط البحري على الخليج عبر ضواحي سكنية، بيوتها تتراوح ما بين الصغيرة والضخمة، القديمة والحديثة...

حين انعطفت بها السيارة، اتجهت بها نحو النهر عبر طريق عليه لوحة عريضة مثبتة في الارض تدل على الاتجاهات. كان المنزل الذي تقصده، وراء أحد المنعطفات.. يقع وسط غابة صنوبر صغيرة، جعلته خافياً عن العيون. التقاء النهرين في هذا المكان باتجاه البحر جعل للمنظر رونقاً ومظهراً رائعاً.

عندما دنت من المنزل وجدته منزلاً كبيراً، طويلاً، منخفضاً، أنيقاً. نوافذه تمتد من الارض حتى السقف المنحني البني اللون. إنه دون شك بنيَ حديثاً وقد كلف مبالغاً غير قليلة. المروج الخضراء الممتدة حتى الجدران الخارجية لحدوده لن يُحدثها إلا مياه وفيرة استُمدَّت من النهر القابع خلفه. حتى وهي تتأمل أحست بالرذاذ الخفيف يتلاعب، وينتشر عبر المساحات فسقط على مسافة قصيرة من الطريق الداخلية الموصلة الى المنزل.

قالت للسائق:

ـ ثمة خطأ ما دون شك. لا يمكن أن يكون هذا هو المكان الذي أقصده.

ـ ليس هناك منزل غيره. قلت لي ڤيلا «ريڤرسايد» وهذه هي ڤيلا «ريڤرسايد».

ـ لا بد أن هناك مكاناً آخر.

ـ ما اسم صاحبها؟

ـ الاسم.. أوه.. فولكنر.

مد السائق اصبعه يشير الى المكان الذي يجب أن تدير عينيها نحوه... على لوحة قريبة من صندوق البريد اسم الڤيلا واضح الكلمات.

نزلت بيت بارتباك من السيارة ودفعت الاجرة. ثم التفتت تحدق من جديد في المنزل بتردد.. لم يكذب لوك حين قال لها إنه ليس بحاجة الى مالها، فما من أحد يعيش في مكان كهذا قد يكون بحاجة لمال. وهذا ما يغيّر كل شيء.. ليس نحو الافضل بل نحو الأسوأ. فإذا كان المال لا يشكل له اغراء، فماذا بقي أمامها. لم يبق إلا أن تتوسل الى طيبته السمحة... لكن هل من أمل؟ طبعاً ثمة أمل! فلم تقطع هذه المسافة كلها لتستسلم بسهولة.

لم يخطر ببالها أبداً، أن المنزل قد يكون خالياً من ساكنيه. لكن حين رنت الجرس ثانية، ولم تسمع جواباً.. استنتجت أن لا أحد فيه. كان يجب أن تترك التاكسي ينتظر قليلاً الى أن تتأكد، لكن الوقت تأخر على هذا الآن. وهذا يعني أن عليها انتظار عودة لوك.

لكن عليها أولاً الهرب من هذه الشمس الحارة قبل أن يسوح

جسدها. راحت تمر قرب النوافذ المغلقة، ووصلت الى نهاية الجدار مروراً بباب حجري تعلوه قناطر يطل على النهر الممتد الى البحر. السقف الخشبي فوقها امتداد لسقف المنزل والمكان شبه مغلق بالزجاج، ما إن ارتقت بضع درجات الى الداخل حتى طالعتها بركة سباحة حولها مقاعد ملونة.

وجدت لوك يقف عند حافة البركة ينظر الى الماء، وظهره إليها. بينما كانت تنظر إليه أحست بجفاف مفاجيء في فمها، وبدأ الألم يتحرك في أعماقها... وكافحت نفسها لتسيطر عليه... فقد انتهى ذلك الجزء من علاقتهما الى الابد. إنها الآن هنا طلباً لعونه لا شيء سواه.

التفت فجأة وكأنه أحس بنظراتها المصوبة نحوه. تسمَّر في مكانه دون حراك حين شاهدها تقف هناك.... بدا وكأن دهراً قد مرّ قبل أن يتحرك... لكنه حين وصل إليها كانت تعبيرات وجهه خافية لم تستطع سبر غورها، ومع ذلك رأت أنه غير دهش لقدومها وكأنه توقع مجيئها هذا.

تكلمت بيت أولاً بصوت متهدج:

ـ لا تقلق نفسك.. لم أقدم لأسبب المشاكل لك.. وما جئت إلا لأنني بحاجة الى أن تكمل الجزء المتعلق بك في اتفاقنا.

هز رأسه وقد بدا عليه الاسى:

ـ أنت لا تتغيرين أبداً..

ـ لقد وصلت الى ما تريد.. لكنك لم تنتظر لتدفع ديونك كلها.

ـ كل ما عرفته، أن حاجتك إليّ لا تتعدى توقيعي على وثيقة الزواج. هل نسيت أن أوقعها؟

ـ لا.. لكنني مازلت بحاجة الى توقيعك.. على بعض الاوراق الرسمية. أوراق لم أعرف عنها شيئاً الى أن أخبرني المحامي.. من الضروري أن توقعها يا لوك وإلا سأخسر منزلي.

هز كتفيه بقلق:

ـ وهذا كل ما يهمك.. لماذا ازعجت نفسك بالسفر؟ كان بامكانك ارسال الاوراق لأوقعها.

فهزت رأسها:

ـ لن أخاطر، فقد تضيع. لا.. كان يجب أن آتي بنفسي.

ـ أهذا كله لأجل المنزل؟

ـ إنه ليس أي منزل. إنه بيتي. وهو ملك عائلتي منذ ثلاثة أجيال، لذا لا أريد أن أخسره الآن.

ـ لا.. أستطيع فهم هذا... من الافضل أن أرى ما عليّ توقيعه.

استجمعت قواها لتقول:

ـ لم أجلبها معي.. خفت أن لا أجدك.

أدارت رأسها وهي تسمع هدير محرك سيارة فسألته:

ـ أتتوقع زائرين؟

ـ أقيم غداء في الحديقة، فالطقس جميل اليوم.. سيصل الجميع من الآن وصاعداً.. ويجب أن تبقي هنا الى أن أجد الوقت لاوصلك الى المدينة...

نظر إليها فلاحظ سؤالاً ارتسم في عينيها..

ـ لم يعرف أحد أنني تزوجت، ولا يجب أن يعرف. سأقدمك كصديقة تزورينني لالقاء التحية.. زيارة سريعة ليس إلا.

وابتسم بسخرية، لكنها لم تجد الوقت للرد أو المجادلة،

www.elromancia.com

فقد دخل بضعة أشخاص عبر الباب ذي القناطر.. شبان تتراوح أعمارهم بين عمر بيت وعمر لوك.

جرى التعارف تلقائياً بينها وبين المدعوين.. فوجدت أنهم قبلوا وجودها بود وصداقة وهذا ما أراحها، وتوافد المزيد. بعضهم خلع ثيابه ونزل في المياه الدافئة والبعض الآخر جلس في الحديقة فوق مقاعد موضوعة على العشب.

أجابت بيت على اقتراح امرأة شابة بأن تريح نفسها من ذلك الفستان الرسمي:

ـ لم أجلب معي غيره.

ـ ما من مشكلة.. أحمل معي دائماً ثياباً إضافية، ما عليك سوى تضييق الحزام قليلاً لتناسب جسدك.

ـ أتعرفين أين أستطيع تبديل ثيابي؟ إنها زيارتي الأولى الى الڤيلا.

ـ سأريك.

اختارت باباً أبيض اللون يوصل الى ممر ينفتح على آخره.

ـ هذه غرفة ضيوف استبعد أن يدخلها أحد.

جلست الفتاة على مقعد مريح في الزاوية، بينما أخذت بيت تخلع ثيابها وسألت:

ـ هل التقيت بلوك خلال زيارته هذه المرة أم تعرفان بعضكما منذ زمن بعيد؟

بما أنها لا تعرف ماذا اختار لوك من اخبار وجدت أن عليها عدم المخاطرة.

ـ نعرف بعضنا منذ زمن، لم أستطع أن أزوره قبلاً.

ـ ألن تبقي هنا إلا وقتاً قصيراً.

ـ بضعة أيام فقط. إنها زيارة سريعة ليس إلا.

ـ هذا ما قاله لوك.. أليس رجلاً عظيماً...

ـ كونه انكليزي؟

ـ أوه.. ما هذا الكلام. إنه فرد منا الآن، وهذا موطنه. فهنا كانت بدايته.

ـ ماذا يعمل بالضبط. لم نتحدث عن عمله.

ـ هل سمعت يوماً «بالايركرافت»؟

ـ طبعاً، إنها الوسيلة الرئيسية للانتقال فوق البحر في انكلترا.

ـ إنه يملك مصنعاً لتطويرها، لتصبح أخف وأصغر. دخل السوق منذ ثلاث سنوات، ولم يتراجع منذ ذلك الوقت، ولا أظنه سيتراجع.. لقد رفض عرضاً لشراء اختراعه ومصنعه بمبلغ يفوق الخيال في الاسبوع الماضي.

ـ أتعلمين.. لم أعد أذكر اسمك.

ـ أنا آن.. آن دايڤز.. أعرف لوك منذ سنوات، لكننا لسنا حبيبين. إذا كان هذا سؤالك التالي، فصديقي لن يعجبه الامر.

وقفت تبتسم بود:

ـ إذا كنت جاهزة فهيا نعود لنأكل.. فأنا جائعة.

لحقت بيت بها ببطء وهي تحس أنها كشفت نفسها أكثر من اللازم. إنها تشعر بالتملك تجاه لوك، ولا مجال للانكار.. لكن ليس هذا من حقها. إنه سيد نفسه.. وقد أوضح لها هذا بكل جلاء.

كانت رائحة اللحم المشوي تملأ الجو في الخارج. جلست بيت وحدها على كرسي منخفض تراقب الشواء الذي يقوم به الرجال فوق موقد ثابت من الحجارة الحمراء، وكان لوك أحدهم. إنه يبدو مرتاحاً وسط هؤلاء القوم.. بل يبدو فرداً

www.elromancia.com

منهم... إن له القدرة على معايشة كل الأمكنة... تذكرت الحفلة التي أقامتها لهما ڤاليري. مع انه بكل تأكيد يفضل هذه الحفلة، تفضلها هي كذلك.. ففيها هواء منعش وشمس تبعث حراً.. ورفقة طيبة.. وهي كلها دوافع جيدة.

ـ احذري الشمس فقد تؤذيك.

أدارت بيت رأسها.. كان شاباً اشقر الشعر، أكبر منها بسنة أو سنتين، ذا ملامح جميلة. ردت عليه مبتسمة:

ـ مع أنني حمراء الشعر، إلا أنني سرعان ما أسمرّ. إن هذا ما أريده في الوقت الحالي هرباً من ضباب انكلترا! أنت ألست جاك؟ لا أذكر اسم عائلتك.

ـ لا استخدمه أبداً. أتعرفين لوك منذ زمن طويل؟

جلس قريباً منها على كرسي طويل، فأظهر لها وداً أراحها، فأجابت:

ـ مدة كافية.

ـ إنه شخصية مهمة هنا، ولقد أصبح كذلك بسرعة.

ـ أتكره هذا؟

التفت الشاب إليها بحدة:

ـ ألأنه ليس أميركياً؟ لا.. إنه يقوم بعمل رائع.. إن واظب على طريقة عمله فسيصبح مليونيراً قبل مرور خمس سنوات. وسيصعب عليه البقاء أعزب.. صدقي ما أقول!

ـ ثمة أمور كثيرة أمام الرجل غير جمع المال... هل أنت متزوج؟

ـ بل منفصل.. باتفاق مشترك. فلا تزعجي نفسك بالشفقة عليّ.

فابتسمت:

ـ لم أكن أنوي عرض شفقتي عليك. أتزوجت منذ مدة؟

ـ ثلاث سنوات، وسنحصل على طلاق في السنة القادمة.. زمن طويل قبل أن أعود لوضع رأسي في حبل المشنقة من جديد! تعالي لنسبح قبل تناول الطعام، فالمياه دافئة هنا.

كان لوك يقدم قطع اللحم للمدعوين ما إن تنضج على النار تاركاً لهم حرية اختيار ما يشاؤون من طعام ومقبلات موجودة على الطاولة المعدّة خلف الموقد. أمسكت بيت طبقها ونظرت الى عينيه الرماديتين وهما تجولان على جسدها. وقالت بلهجة خفيفة:

ـ لتكن قطعتي صغيرة أرجوك. لست جائعة كثيراً.

ـ لقد بدأت بشرتك تحترق، إن شمسنا قوية. ابحثي عما تغطين به كتفيك.

كانت قد بدأت تحس بالحريق لكن فظاظته جعلتها تتعنت:

ـ أنا بخير تماماً، وبشرتي لا تحترق عادة.

ـ تحملي المسؤولية إذن.

سألها جاك وهما يبتعدان عن الموقد:

ـ هل كنتما تتخاصمان قبل وصولنا؟ هذه هي المرة الأولى التي ألاحظ الحدة في صوته.

ـ ربما بسبب حرارة نار الموقد.

سألها جاك بعد فترة وقد أخذ الجميع يغادر:

ـ ألن تنضمي إلينا؟ سنذهب في رحلة عبر النهر الى خليج سانت لورانس.

فردت كاذبة:

ـ رغم وثوقي من إن الرحلة ستكون رائعة إلا أنني أعتذر، فليس لدي وقت كافٍ. أما الآن فعليّ أن أذهب لأخلع هذا

www.elromancia.com

الثوب، الذي استعرته من آن دايفز.

ـ لقد رحلت، اتركيه هنا وسنأخذه فيما بعد.. ألن تغيري رأيك وتنضمي إلينا؟

وصل لوك فقاطعهما قائلاً:

ـ عذراً جاك، لدينا بعض الأمور لنناقشها.

ـ هذا يعني أنك لست قادماً معنا لوك؟

ـ ربما في نهاية الاسبوع القادم، فأنا لن أسافر قبل يوم الاثنين.

التفت جاك الى بيت:

ـ أنت مدعوة معه إذا كنت هنا.

أجابت:

ـ آمل أن أكون في موطني في ذلك الوقت.

آه ليتها تستطيع قول الشيء نفسه عن لوك.. لكن ماذا يعني بأنه مسافر يوم الاثنين؟ والى أين سيسافر؟

بعد نصف ساعة أخرى، غادر الجميع المنزل، ثم نظّف الموقد والمائدة والارض المحيطة، بواسطة عشرة أزواج من الايدي الراغبة، فأصبحت منطقة الشواء ومحيط البركة المغلقة في غاية النظافة.

كانت ثيابها في غرفة نوم الضيوف، دخلتها، لكن لم تحاول تغيير ملابسها على الفور. إذ راحت تنظر الى كتفيها في المرآة لترى مدى الضرر الذي الحقته بها الشمس، وعلمت انها ستعاني من ألم الحريق هذه الليلة بسبب غبائها وعنادها.

سمعت لوك يتحدث ورائها:

ـ لقد ملأت لك المغطس بالماء الساخن ووضعت بعض الأملاح المضادة للحكاك فيها. إن هذا سيخفف الحريق.. ابقي

في الماء عشرين دقيقة على الاقل.

قالت دون أن تستدير:

ـ سأكون بخير.

سمعت أسنانه تصطك.

ـ افعلي ما قلته لك! الحمام على بعد أبواب من هنا.

انتظرت حتى تلاشى وقع اقدامه، ثم اذعنت، وهي تعلم أن ما قاله صحيح... كان الحمام كبيراً وفخماً، فيه مغطس غائر في الارض. خلعت ثوب السباحة، وانزلت نفسها ببطء ولطف في الماء الساخن، ثم مدت ساقيها وتركت كتفيها تنغمسان في الماء... هكذا أفضل.

كان يقف عند نافذة غرفة النوم حين عادت من الحمام، تلف نفسها بمنشفة بيضاء سميكة.. أما نظرته إليها فكانت باردة:

ـ جلبت لك بعض الكريم المضاد للحروق.. ومن الافضل أن تسمحي لي بوضعه على ظهرك.

ـ لا!

خرج الرفض منها قبل أن تستطيع إيقافه، لكنها جمعت شجاعتها لتقول:

ـ سأتدبر أمري.

تقدم نحوها:

ـ لن يمكنك هذا إلا إذا كنت بهلوانة.

التقط زجاجة بلاستيكية من طاولة الزينة، وشد على شفتيه غاضباً حين شاهدها تتراجع.

ـ دعك من هذه البلاهة بيت. فبدون هذا السائل لن تستطيعي الحراك في الصباح.

ـ لا أريد أن تلمسني.. لم أجيء الى هنا سعياً الى هذا!

www.elromancia.com

ـ لقد أوضحت لي هذا تماماً. دعي المنشفة تنسدل عن كتفيك وإلا سأنزعها عنك كلياً... لن أترك الامر حتى تدخلي عيادة طبيب بسبب غبائك!

عضت بيت على شفتيها وفعلت ما أمرها به.. إنها لا تظهر له شيئاً لم يشاهده من قبل، خاصة وهي كانت تسمح له بكل شيء. لا بد أنها كانت له أسهل «غزونسائي» قام به.

مع أنها تصلبت قدر طاقتها، فقد جعلتها لمساته تلتقط أنفاسها. كان رقيقاً جداً، يدلك السائل فوق البشرة الحمراء من أعلى كتفيها حتى خصرها... كانت تعرف أنه قادر على رؤية تعابير وجهها عبر المرآة التي تقف أمامها إلا أنها بذلت جهدها لتبدو هادئة، لكن لا مجال لاخفاء الاحاسيس التي تسابقت في شرايينها.

قالت بعد طول انتظار:

ـ هذا يكفي. أستطيع إتمام ما تبقى بنفسي.

أعطاها الزجاجة من فوق كتفها:

ـ سأراك في الخارج.

وخرج.

أخيراً، حانت اللحظة التي يجب عليها فيها أن تغادر الغرفة، لتقابل لوك... فلا فائدة من جعله يوصلها الى فندقها ليطلع على الاوراق هناك، لأنها ببساطة ليست في حوزتها.

وجدته ينتظرها قرب البركة كما وجدته عند الظهر. ابتعد عن حاجز البركة حين شاهدها، قائلاً:

ـ لن نبقى هنا.. أين تقيمين؟

وجدت صعوبة في انتقاء الكلمات، لكنها تمكنت أخيراً من أن تقول:

ـ الامر ليس بسيطاً كما صورته لك. فالاوراق ليست معي في الفندق.

ظهر لمعان في عينيه، وقال ببرود:

ـ اخبريني الامر كما هو. فهذا سيوفر علينا الكثير من الوقت.

ـ حسناً.. الاوراق ليست معي، إنها بحاجة للتوقيع أمام الشهود.

ـ ومن هم الشهود؟

ـ جوزف ديكارتس، المحامي، وقد رفض اخراجها من مكتبه.

ـ دعيني أفهم هذا جيداً.. هل جئت الى هنا لتقنعيني بالعودة معك لأوقع شيئاً كان عليّ أن أوقعه حين كنت هناك، وبسبب غبائك لم أوقعه؟

ـ قلت لك إنني لم أعرف عنه شيئاً الى أن أخبرني جوزف في الاسبوع الماضي، ولم يكن ليدري أنك سترحل فجأة كما حصل.

ـ لم أرحل فجأة.. أنت لم تستحقي يومها لحظة تفكير، ومازلت لا تستحقينها.

نظرت إليه وقد غاص قلبها:

ـ أترفض؟

ـ لا بل لا أجد سبباً يجعلني أسافر الى انكلترا ثانية.

ـ لقد عقدنا صفقة!

ـ ووفيت بها. طلبت مني الزواج، وفعلت. وتلك الوثيقة هي كل ما أردته من اثبات.

ـ أنت لا تصدقني.. أليس كذلك؟ أتظن أنني اختلقت

www.elromancia.com

القصة؟ لماذا؟ ترى ماذا آمل من ورائها؟

ـ لا.. لا أظن أنك تختلقينها. لكنني لا أفهم لماذا يجب أن أوقع أي شيء. إذا قلت إن الامر ضروري، فهو ضروري إذن. لكنك تطلبين مني الكثير، وهذا كل ما في الامر.

ردت يائسة:

ـ أنا أقاتل في سبيل الحفاظ على بيتي. وإذا فشلت قبل عيد ميلادي بعد ثلاثة أسابيع، فسيذهب ما فعلته سدى.

ـ هذا غير صحيح.. ما من محكمة في البلاد كلها قد تقبل بوصية كهذه.

ـ أنا لا أريد أن أجر اسم العائلة في المحاكم.

حدق فيها للحظات وتعابير وجهه يصعب غورها:

ـ فلنخرج من هنا. (أجاب)

كان لغرفة النوم الكبيرة الممتدة دفء ليس موجوداً في الخارج.. دعاها للجلوس على الاثاث الاخضر الشاحب ذي الألوان البيضاء، لكنها رفضت لأنها شكت في قدرتها على الوقوف ثانية إن جلسا.. إذ كان رأسها يضج بألم مستمر، زاده إحساسها بالدوار. يجب أن تسوي الامور لتعود الى الفندق قبل أن يعرف لوك ما بها، فلن تستطيع الوقوع مريضة بين يديه. قالت:

ـ أعرف أنني أطلب الكثير. لكن بامكاننا السفر سريعاً ثم تعود فور التوقيع.

ـ الوقت غير كاف بالتزاماتي.. لا فائدة بيت، فأنا مضطر لأكون في نيويورك الاثنين المقبل وفي فلوريدا يوم الاربعاء، هذا دون ذكر ما ينتظرني هنا خلال هذا الاسبوع. وما من مجال لتغيير هذه المواعيد.

صدقته بيت، لأنه لن يكذب، وهذا ما يترك أمامها فرصة واحدة بعد... فسألته:

ـ ماذا عن الاسبوع التالي... سأبلغ الخامسة والعشرين في الثاني والعشرين من نيسان... وهذا يعني أن لدينا فرصة حتى الحادي والعشرين منه. بعدها سأخرج نهائياً من حياتك. ولك أن توقع الاوراق الرسمية لطلب الانفصال ساعة تشاء.

فجأة تحرك بسرعة فوضع يده على رأسها فإذا بها تحس بيده باردة على جبينها، ولمسته رقيقة:

ـ حرارتك مرتفعة.. إن خير الامور لك الآن هو الفراش، وشراب ساخن حتى تشعري بتحسن.

انكار حالتها سيكون مضيعة للوقت.. قالت بوهن:

ـ يجب أن أعود الى الفندق.

ـ لا.. لن تذهبي وأنت على هذه الحالة.

أمسك ذراعها يحثها نحو الباب:

ـ سنكمل الحديث فيما بعد.

رافقها الى الغرفة التي غيرت فيها ملابسها، وسارع الى إطفاء النور، واقفال الستائر، ونظر إليها في العتمة النسبية:

ـ ستكونين أفضل لو استلقيت في الفراش دون ملابس.. سأذهب لأحضر فنجان شاي ساخن. هل ستتمكنين من خلع ملابسك؟

كانت قد وصلت الى مرحلة تعجز معها عن القيام بشيء عدا الاستلقاء في السرير، وإغماض العينين.

ـ ساعدني فقط على فتح السحاب.

فعل ما طلبت، وأكمل إنزال الفستان الى الارض لتتمكن من خلعه ثم تركها تتسلل بين الاغطية، بينما تناول الفستان ليعلقه

www.elromancia.com

على المشجب.

- سأجلب لك قرصين من المسكّن مع الشاي.. سيساعد هذا على تهدئة صداعك.

تمتمت بعجز:

- كيف عرفت أنني مصابة بصداع؟

- لأن الشمس القوية تسبب هذا للناس، وهذا يحدث لكثير من الوافدين الجدد.

حركت يدها وكأنها تود الاعتذار:

- خاصة لمن لا يقبل النصيحة. لم أكن أقصد جلب المشاكل لك.

فقال بسخرية:

- أنا واثق من هذا.

عاد بعد قليل يحمل صينية فيها فنجان شاي ساخن، وكوب ماء، وقرصين أبيضين. وضع ذراعه خلف كتفيها فساعدها على تناول الدواء ثم الشاي.. فلاحظت الابتسامة الساخرة، وهو يعيدها الى الوسادة قبل أن يذهب تاركاً إياها وحدها في الظلمة مع افكارها.

• • •

٧ - الشقراء الذهبية

لا بد أنها نامت أخيراً.. فحين استيقظت، كانت الغرفة مليئة بأشعة ذهبية قاتمة بدت واضحة عبر الستائر. الصداع زال، جربت تحريك رأسها فوق الوسادة، فلم تشعر بالدوار والغثيان اللذين كان سببهما ركوب الطائرة.

حين حاولت الجلوس، أحست بحروق كتفيها اللتين تصلبتا فجعل ذلك التحرك عليها مؤلماً، مما يعني أن ارتداء ثيابها سيكون مؤلماً أيضاً. خاصة حين ستمد يدها لتقفل السحّاب. بما أنها سمحت للوك بسهولة أن يساعدها، فالتعقل يتطلب منها مناداته ثانية لفعل ما قام به في المرة الأولى. لكن قبل أن تراه ثانية، يجب أن تكون مسيطرة على نفسها، جسدياً وعاطفياً، وهذه هي الطريقة الوحيدة لتتمكن من النجاح.

كان القصد من الطرقة الخفيفة على الباب تنبيه الصاحي من النوم فقط... فتظاهرت بيت بأنها لم تسمع، فهي لم تكن مستعدة بعد للمواجهة، فكان أن أغمضت عينيها بسرعة حين فتح الباب.

لمسة أصابع يده على بشرتها كانت رقيقة حتى درجة الخيال.. الغطاء الذي تحرك باتجاه الأسفل جعلها تجفل وتمد يدها لتمسك به فقال لها بلهجة جافة:

www.elromancia.com

- اعتقدت أن هذا سيوقظك. لقد كانت انفاسك سريعة وهي عكس أنفاس النائم التي تخف. كيف حال صداعك؟

- بخير... لو كنت نائمة، على ما أعتقد لأتممت ما بدأت به!

- أشك في هذا.. فلا ينقصني النظر الى جسد امرأة. أتحسين بأنك أفضل حالاً لتنهضي من السرير، أم أحضر بعض الطعام الى الغرفة؟

- سأنهض.

مررت لسانها على اسنانها تظهر علامات الامتعاض والقرف:

- لا أعتقد أن لديك فرشاة أسنان إضافية هنا!

- استخدمي فرشاتي فأنا لا أمانع. وإذا كنت ذاهبة الى الحمام، فسأجد لك روباً ترتدينه.

رمى لها روباً من الخزانة، ذا حجم صغير يثير التساؤل.. وإن يكن؟ هذه غرفة ضيوف. وما من شك أن آخرين ناموا فيها. ربما زوجة أبيه. شيء واحد لن تفعله.. لن تسأله لمن الروب.

سألها وهو واقف في الباب:

- إذا احتجت مساعدة، نادني.. فأنا في المطبخ.

وصلت الحمام دون صعوبة. حركت كتفيها، فإذا الألم غير قوي، مع القليل من الحظ وبعض السائل قد تنجو من آلام أخرى.

جعلها منظر الحقيبة الخمرية اللون على كرسي يقع قرب الحمام تجمد.. فقد شاهدتها في المرة الأخيرة في غرفتها في الفندق.. ربما أحضرها لها أثناء نومها.. لكن لماذا يزعج نفسه؟ فلن تبقى هنا كثيراً لتحتاج إليها.

تحركت بريبة عائدة الى الغرفة وفتحت خزانة الجدار

فشاهدت الحقيبة الأخرى الكبيرة... لقد كان بالفعل مشغولاً!

عرفت موضع المطبخ من خلال الانارة المطلة منه.. نظرت الى مائدة الطعام المعدّة... كان يقف عند السطح الملحق بالمغسلة يحضر السلطة في قصعة خشبية كبيرة. حركاته تنم عن خبرة طويلة في هذا المضمار. قال لها دون أن يلتفت:

- فكرت في أن نتناول طعامنا هنا، طلباً للراحة. أرجو أن تحمي السلطة مع المتبلات؟

فردت باختصار وحدّة:

- الى ماذا تهدف بألاعيبك يا لوك؟

كما العادة لم يحاول التهرب:

- لم أجد ضرورة لترك الحقائب الى ما بعد الظلام. وجدت اسم الفندق وجواز سفرك في حقيبتك اليدوية، وحين برهنت من أنا، زالت كل الصعوبات التي تحول بيني وبين استلام الحقائب.

نظرت إليه بيت عاجزة... تحس بعدم القدرة على الحراك.. هي من طلبت هذا، بمجيئها الى هذا البلد.. لكن ما هو البديل الذي كان أمامها؟ إذا أرادت الاحتفاظ ببيتها فعليها الاذعان له:

- حسناً.. أنت تنتصر. أعطني عشر دقائق لأغتسل.

كان ينتظرها في المطبخ، يجلس الى المائدة ينظر من النافذة الى منظر النهر. موقع المنزل، الذي تطل نوافذه إما على النهر أو على البحر، جعل منه رائعاً. لا شك في أنه كلّفه ثروة مما يعني أن هذا البلد كان أرض الثروة للوك.

قال لها وهي تجلس في مواجهته:

- هكذا أفضل.. تبدين رائعة كما أنت دائماً. أيؤلمك ظهرك؟

- قليلاً.. لكنني لا أتحمل شيئاً يلامسه.
- لا عجب.. استطيع الاحساس بحرارتك من هنا.
مد يده لها بالطعام لتختار ما تشاء.
- سأضع لك طبقة أخرى من السائل الملّطف قبل ذهابك للنوم. مع أنني أعرف أن بشرتك ستتشقق.
- أعتقد أنني المسؤولة عما أصابني، فلم تكن وحدك من نصحني بالتدثر.. ماذا يفعل جاك للارتزاق؟
- إنه صحافي.
- جيد!
- إنه متزوج.. على فكرة.
- ومنفصل.. لقد أخبرني.
- يبدو أنكما تعارفتما.. ماذا قلت له أيضاً؟
- لا شيء مهم. أنت تدرك ما سيقال حين أقيم معك.
هز كتفيه دون اكتراث:
- يمكننا قول الحقيقة.
- ونسبب فضيحة؟ لقد تأخر الوقت لهذا.
- إذن عليك القبول بالبديل... فالفرص عادة لا تقرع باب المرء مرتين.. خلت أنني لن أراك بعد مغادرتي «كوبرن فارم».. كبرياؤك السخيفة دون شك تلقت ضربات موجعة خلال الاسابيع الماضية، لكن يبدو أنها لم تؤثر فيك. أنت لم تستطيعي اجبار نفسك على التقدم الى هذه المسألة الجديدة بدرجة لائقة من الصدق.
- تعني ببعض المذلة. استعداد للتوسل للحصول على المعروف؟ أنت تطلب الكثير يا لوك.
- ثمة فرق شاسع بين الطلب والتوسل، لكنك لا تعرفينه

أبداً. إذن ادفعي الثمن.. اقنعي نفسك ما شئت بأنك تفعلين ما تفعلين تحت الضغط والاكراه.
كادت تقول له إنها لا تقوى أبداً على تركه يقترب منها، لكنها تراجعت. فثمة وقت قد تحتاج فيه الى مواجهته بهذا القول. أما في الوقت الحاضر فلديها مناعة من نوع محدد.
غيرت الموضوع متعمدة:
- يبدو المنزل كبيراً جداً بالنسبة لشخص واحد. أليست الشقة أنسب لك؟
- أحب السعة حولي.. ربما لأنني لم أحصل على مثلها في طفولتي.
- لكن، ليس لديك خدم؟
- هنا..؟ ستجدين صعوبة في إيجاد أمثال جيرارد.. ثمة امرأة تأتي ثلاث مرات في الاسبوع للتنظيف، أما في الايام الباقية فأعنى به وحدي.
- أتشمل عنايتك الطهو أيضاً؟
- نعم حين لا أتناول الطعام في الخارج. لكنني لست من هواة الاكل. احتاج الى فطور فقط قبل الانطلاق الى عملي.
- أذكر هذا.
- وماذا تذكرين بعد؟
إذا كان هناك فرصة أمامها لالقاء دفاعاتها فهي الآن.. كيف ستكون ردة فعله حين تقول إنها تتذكر أشياء كثيرة. أشياء سببت لها ألماً.. لكنها تعلم أنها لا تملك هذه الشجاعة خاصة وهي تعرف ما سيواجهها من سخرية وهزء. قالت:
- لا أذكر الكثير. لم تقم معي وقتاً كافياً لتترك انطباعاً كبيراً.
- هذا ما يجب أن أعوض عنه هذه المرة.. بطريقة أو

www.elromancia.com

أخرى.

بقيا صامتين بعد هذا، فلما أنهت وجبة الطعام شعرت بالراحة لأن الفرج قد قرب لذا رفضت «الكاتو».. ثم بعد ذلك أسرعت الى وضع ما استخدماه من أدوات منزلية في غسالة الصحون وشغلتها. ولم تلبث أن التفتت فوجدت لوك ينظف بقية الاشياء عن الطاولة ببراعة، فقالت له:

ـ أنا خارجة.. هل من اعتراض؟

ـ أبداً.. لكن ضعي شيئاً على كتفيك، فالحرارة تنخفض كثيراً في الليل.

كان الظلام مهيمناً حين خرجت فالسماء ليس فيها إلا نجيمات قليلة تخفيها غيوم بيضاء. والهواء الذي يهب من جهة البحر قوياً وبارداً. فلفت الوشاح الذي جلبته معها حولها جيداً.. ووقفت تتأمل البحر من بعيد وقلبها مثقل بالافكار. لا شيء يسير على ما يرام... وهذا سببه غلطتها... لوك ليس بالرجل الذي يذعن للإكراه.. لذلك عليها محاولة شيء جديد.. لتجعله ينظر الى الامور بطريقة مختلفة... أجل.. لكن كيف؟ ماذا قد تقول لتجعله ينظر الى الموقف أو إليها بعين العطف؟

مضت ساعة من التفكير قبل أن يخرج بحثاً عنها:

ـ ستصابين بالبرد إضافة الى ضربة الشمس. لماذا لا تنامين باكراً؟

ـ لن أتمكن من النوم.. أتعلم.. يجب أن تشكرني على هذا كله.

ـ أيجب أن اشكرك؟

التفتت فأراحت مرفقيها على أعلى قضيب سياج الشرفة الحديدي وتطاير شعرها حول وجهها من الهواء:

ـ لو تزوجتك عندما طلبتني في الماضي لما قصدت أمريكا ولما جنيت هذه الثروة، وهذا يعني أنني قدمت لك معروفاً.

فرد موافقاً بلهجة جافة:

ـ هذه إحدى وجهات النظر. من ناحية أخرى.. من قال إنك ما كنت لتسافري معي؟

ضحكت بسخرية:

ـ إن فرداً من أفراد أسرة كاين.. يترك وطنه؟ لا.. ما من مجال أبداً!

ـ لكنك عندئذٍ كنت ستنتمين الى عائلتي، عائلة فولكنر. لكن ألم تقولي إن جدك الاكبر ترك وطنه إيرلنده؟ ولولا حصوله على الجنسية البريطانية لبقيت إيرلندية، مع أنك بالدم مازلت كذلك. وهذا ما يجعل القول «لا مكان مثل بريطانيا» أمر لا معنى له.. أليس كذلك؟

ـ ليس بالنسبة لي.. فأنا لم أزر يوماً إيرلنده.. والامر لا يهم ما دامت المسألة لا تطرح. ثمة مكان واحد أود البقاء فيه، هو «كويرن فارم»!

فقال بسخرية:

ـ لنفترض أنك وقعت في الحب في أحد الايام الرائعة.. واضطررت للاختيار؟

ـ لن أقع في الحب.. ولن اسمح لعواطفي بأن تتحكم بي.. إذا لم أجد رجلاً أحب أن انجب منه أطفالاً.. فسأتبنى بعضهم.. وبذلك أسعد الجميع.. سأدخل الآن الى المنزل.

ـ تعالي الى هنا.

تنحى جانباً لتمر من الباب الزجاجي خلفه.. فلما أحست بالازدراء في نظرته، اقنعت نفسها بأنها لا تهتم. فهكذا يراها،

وهكذا ستكون. إنه نوع من الدفاع ستتخذه. قال لها وهما يتناولان القهوة في غرفة الجلوس.

- يوم الاحد، يذهب الجميع الى البحر.. لكن إذا أردت السباحة فاستخدمي البركة غداً.. صحيح أنني لم أشاهد سمك القرش في المنطقة سوى مرة واحدة منذ قدومي إلا أن هناك دائماً خطراً في تسلل بعضها.

اخفت بيت رعشة خوف:

- أعتقد أنك لن تكون هنا.

- لدي أعمال يجب أن ألاحقها. فثمة بعض المتاعب في المصنع تتعلق بعقد أجريته لبيع طوافات.

- أيعني هذا أنك قضمت قضمة أكبر مما تستطيع مضغها.

ضاقت عيناه وهو يقول بحدة:

- هذا يعني أن هناك الكثير من العمل الشاق... لكنني سأكون هنا في الليل.

عضت على شفتها وقد فهمت ما يعني.. عبثاً تقنع نفسها إن خير الامور ضبط لسانها. قالت:

- تمنيت أن أدفع أي ثمن شرط ألا آتي الى هذه المنطقة.

- ما من أحد أجبرك على المجيء.

وضعت فنجانها على أقرب طاولة ووقفت بهدوء، تحاول أن توهمه بأنها لا تهرب.

- غيرت رأيي.. وسأنام باكراً.. آسفة على ازعاجك في صنع القهوة.

- لا تقلقي.. سألحق بك بعد عشر دقائق ومعي السائل الملطف للحروق.

حين دخل كانت مستلقية على وجهها في السرير وقد أبعدت

جزءاً من الغطاء عن كتفيها بطريقة مدروسة. لما أحست بثقله على طرف السرير، شدت أسنانها، وانتظرت ليبدأ التدليك الذي لا تريد إلا أن ينتهي.

جعلتها برودة السائل على بشرتها المحروقة تحس بالراحة. ورغماً عنها أحست بجسدها يسترخي أمام ضربات يديه الناعمتين اللتين اعتادت عليهما قويتين، كانتا تتحركان من كتفيها الى مؤخرة عنقها، ثم تعودان الى الخلف بحركات مريحة. وتسلل الوهن إليها... فأغلق تفكيرها عما حولها، وعن أي احساس إلا الذي تحدثه الاصابع الطويلة القوية... مددت أطرافها باسترخاء تام.. وهي تريد من هذه الاصابع أن تمدد التدليك أكثر، وصولاً الى كل جزء من جسدها. لقد أثارها لوك دائماً.. حتى قبل أن تحصل على الاكتفاء معه.. إنها لم تكن تحاول العبث بأعصابه في الماضي، فهي لم تكن تستطيع مطلقاً أن تقول «لا» لمداعباته.. ولا بد أنه يعرف هذا، مع ذلك لم يحاول يوماً أن يمضي بالامور بعيداً. لقد أحبها ورغب فيها في آن. أحبها حتى استطاع معها أن يقاوم الاغراء.. آه.. ليتها تقدر على إعادة عقارب الساعة الى الوراء!

لم تكن تعي أنها تهمس باسمه، لكنها أحست بالحرمان حين أبعد يديه عنها قائلاً:

- هذا سيساعدك. في الصباح ستذهب الحرارة.. هل ستنامين هكذا؟

- أجل.. وشكراً على التدليك.. لقد جعلتني ارتاح.

فضحك ضحكة ذات طابع هش:

- سعيد لهذا.. ليلة طيبة. إذا كنت خرجت قبل أن تستيقظي، فتصرفي وكأنك في بيتك. سأعود في الخامسة مساء.

ادعت أن الكرى يغالبها:

ـ عظيم.. تصبح على خير.

تركها دون أن يرد، ومضى عليها وقت طويل قبل أن تنام.

في الصباح حين استيقظت وجدت أن الحرارة على كتفيها قد زالت فصدق بذلك وعد لوك.

قصدت المطبخ فوجدت كثيراً من الطعام في المخزن. أحست بجوع غير عادي، فخفقت بيضتين لتقليهما وتأكلهما مع التوست والقهوة. ثم راحت تراقب أمواج البحر من بعيد تتكسر على الشاطىء الرملي، على بعد مئات الامتار باتجاه الخليج، فتساءلت عما إذا كان الطقس سيستمر هكذا، وكيف هو يا ترى الطقس في انكلترا الآن. كانت تجلس مفكرة حين فتح الباب الخلفي ودخلت منه امرأة ممتلئة الجسم نظرت إليها دون دهشة وقالت بمرح:

ـ الطقس جميل اليوم!

ـ هل أنت السيدة فولكنر؟

ـ أكان عليه أن يذهب الى انكلترا ليجد شقراء؟ كنت أعلم دائماً أن العودة الى هناك لن تفيده. هل ستقيمين طويلاً؟

ـ لكنك لم تجيبي عن سؤالي.. هل أنت السيدة فولكنر؟

ضحكت المرأة:

ـ أنا دورين.. ألم يقل لك إنني آتي يوم الاثنين؟

ـ ليس بالضبط.. ذكر لي أن امرأة تأتي لترتب البيت.

ـ هذه أنا.. أمازالت القهوة ساخنة؟

ـ أجل.. لقد أعددتها منذ دقائق. دورين ماذا؟

ـ أوه كرافس.. وأنت؟

اغرتها نفسها بأن تذكر لها هويتها، لكنها امتنعت وأجابت:

ـ كاين.. بيت كاين.

ـ يبدو أنك وزوجي من أصل واحد، فوالده وفد من إيرلنده في الثلاثينات. أتعرفين أحداً باسم كرافس هناك؟

ـ أنا من انكلترا.. من مقاطعة نورفلوك. ولم أكن قطّ في إيرلنده.

ـ لكن اسمك إيرلندي.

ـ أعرف.. فقد انتقلت العائلة الى انكلترا منذ كان جدنا الاكبر صبياً صغيراً. ونحن نحمل الجنسية الانكليزية. منذ متى تعملين لدى السيد فولكنر؟

ـ منذ عشرين شهراً.. نحن لا نحب استخدام لقب «سيد وسيدة» فهو لوك وأنا دورين.. فهمت؟

ـ فهمت.. آن وقت ارتداء ملابسي، ستبقين طوال اليوم كما أعتقد؟

ـ حتى الظهر.. وسأعود يوم الاربعاء.

ـ حسناً أراك فيما بعد.

في غرفتها قررت بيت أن تخرج ثيابها القليلة من الحقيبة قبل كل شيء، فهي لم تتوقع البقاء أكثر من أيام.. كم كانت متفائلة.. لكن ما دام الامر يتعلق بلوك، فعليها توقع كل شيء.

في اليوم التالي وجدت أنها لا تستطيع البقاء في المنزل كسجينة لذا قررت الذهاب الى المدينة، لترى واجهات المحلات على الاقل.. فلوك دون شك لا يتوقع منها الجلوس هكذا اسبوعين.. ثم في الاسبوع القادم سيكون في ڤنكوڤر، وستكون حرة من وجوده. مهما كانت ستواجه من الآن وحتى سفره، فالفكرة اعطتها الامل بالراحة.

أعدّت لنفسها سندويشاً، ثم اندفعت لترى سائر أرجاء المنزل

www.elromancia.com

أثناء تناولها السندويش. فرأت غرفة طعام طويلة منخفضة السقف وغرفة مكتبه مكتظة الجدران بالكتب، وغرفة تحتوي على وحدات غسيل وتجفيف وكوي منزلي.

في المنزل ثلاث غرف نوم أخرى إضافة الى التي استخدمتها وهي جميعها ذات ديكور أزرق كحلي وأبيض وذهبي. وقد استطاعت بسهولة أن تعرف أيها للوك.. كان في غرفته سرير مزدوج.. وجهاز ستيريو مثبت فوق رأس السرير، هذا يناسب تماماً غرفة أعزب، لكنه لم يعد أعزب. أقفلت الباب وهي تحاول ألا تفكر في النساء اللواتي شاركنه هذا الفراش. فإذا كان يعني ما قاله ليلة أمس فستحذو حذوهن قبل نهاية الاسبوع.

إذن، لها كل الحق في أن تمنع نفسها من الانجراف. فهي لن تدفع ثمناً كهذا حتى ولو كان من أجل «كوبرن فارم» وإن طالبها بحقوقه الزوجية فستقول له: «اذهب الى الجحيم» ولتخسر البيت فلن يهمها أبداً. فليس هناك من منزل يستحق من أجله أن تخسر كرامتها واحترامها لذاتها.

كانت ترتدي ثيابها بعد الحمام، حين سمعت صوت سيارته في الرابعة والنصف.. لكنها لم تستعجل.. فلمَ العجلة، إذا أراد رؤيتها، فليسعَ إليها. أو فلينتظر حتى تشاء هي الخروج في الوقت الذي تريده، لتعلن له أنها ستعود الليلة الى فندقها.

بعد وقت طويل من وصوله، أطلت بيت من إحدى النوافذ فوجدت السيارة واقفة، ولوك مايزال في مقعد السائق. حين تحرك ليفتح الباب لاحظت أن هناك شخصاً آخر معه.

إنها امرأة في أواخر العشرين من عمرها، تخرج الآن من السيارة، تبدو طويلة، نحيلة ذات شعر ذهبي يظهر وجهاً رائع الجمال... لكنها كما هو واضح ليست امرأة تعرّف إليها حديثاً

وقد استنتجت ذلك من خلال طريقة معاملته لها.

بينما كانت تراقبهما، أحست بيت بشيء في داخلها يتوتر ويضيق. من هي ؟ ولماذا أحضرها لوك الى هنا؟

كانت تعرف الرد، وهو رد لا تود سماعه.

● ● ●

www.elromancia.com

٨ ـ ثمن ولكن...

كانت بيت تجلس على الشرفة الخلفية حين وصلا.. فرفعت رأسها عن المجلة التي تفتحها أمامها، متظاهرة بالدهشة:

ـ لم أسمع وصول السيارة، قلت إنك لن تعود قبل الخامسة.

ـ الوقت قارب الخامسة الآن... اعتقدتك اكتفيت من الشمس ليوم أو يومين.

ـ لم أخرج منذ وقت طويل.. على كل الاحوال.. شمس اليوم ليست قوية كشمس الأمس.

حولت بصرها الى المرأة الواقفة قربه، فلملمت ابتسامة ورسمتها على شفتيها:

ـ مرحباً.

كان في ابتسامة المرأة الأخرى نوعاً من الفضول:

ـ مرحباً.

سارع لوك لتقديمهما:

ـ هذه كريستين سميث.. ستبقى معنا بضعة أيام.

فأجابت بيت بسخرية:

ـ حقاً.. هذا رائع.

ـ إنها تعرف القصة كاملة، فلا تعمدي الى التمثيل.

نقل بصره من واحدة الى الأخرى وسأل ببرود:

ـ أتشربان شيئاً؟

فردت كريستين:

ـ سأتناول المرطبات.. على أن تكون باردة.. عندما جئت في المرة الأخيرة كنت تعاني من مشكلة التبريد.

ـ كان الجهاز معطلاً.. ولقد استبدلته بآخر.. وأنت بيت؟

ـ عصير بارد.. دون ثلج.

تقدمت كريستين الى حاجز الشرفة الخارجية بينما دخل لوك الى المطبخ. اتكأت على مرفقها تحدق في البركة. إن جسدها شديد النحول في الجينز والقميص الضيق، لكن نقص التقاطيع في جسدها بدا جيداً. قالت:

ـ أليس مكاناً جميلاً؟ أتعلمين أن لوك صممه بنفسه؟

ـ لا.. لم أكن أعرف. لكن هذا ليس مفاجأة، مادمت تعرفين قصتنا فلا بد أنك تعرفين أن علاقتنا لم تشمل التحدث عن تفاصيل حياتنا. بمناسبة الحديث عن العلاقات، أتمانعين لو سألت عن علاقتك به؟

ـ أبداً.. أنا صديقته.

ـ صديقة.. مقربة؟

ـ ليتني كذلك. إنها علاقة تفاهم على كل حال. فالعلاقات قد تتحدد في أي اتجاه والى أكثر من مستوى..

أحست بيت بقساوة كانت على صدرها كثقل الحديد.. ربما العلاقات هكذا لبعضهم، لكن ليس بالنسبة لها. فسألت:

ـ ولماذا أنت هنا بالضبط؟

شاهدت الابتسامة تعلو الفم العريض:

ـ أظن أن هذا ما عليك أن تناقشيه فيه. سأسعى جهدي حتى تجدي وقتاً يخولك مناقشته قدر ما تشائين.

www.elromancia.com

سمعتا صوته يأتيهما من الباب خلفها:

ـ لا ضرورة الى مناقشة سرية. إذا كنا سنعيش معاً متفقين خلال الأسبوعين القادمين، فالافضل شرح كل شيء بصراحة ووضع النقاط على الحروف.

ردت كريستين ببساطة وحزم:

ـ لا أوافقك الرأي، كما إن عليّ فتح حقيبتي.

تقدمت منه لتتناول كوب الشراب البارد من الصينية مبتسمة:

ـ سأحمله معي.. لا تكن قاسياً ظالماً معها.

قدم لبيت شرابها حيث تجلس، دون أن يقعد إذ وقف حيث كانت كريستين تقف منذ لحظات. اسند ظهره الى الحاجز، وقساوة معينة تعلو وجهه:

ـ لقد أمعنت التفكير بعد أن تركتك ليلة أمس. وتوصلت الى أن الانجراف وراء الاهواء لن يحل المشكلة لأي منا.. لهذا أحضرت كريستين الى الڤيلا وذلك كي تبقينا، كما قد أقول، على الطريق المستقيم الى أن أعيدك الى موطنك.

توقع سلفاً أن يسمع رداً حاداً، فسارع يقول قبل أن تجيب:

ـ لا تزعجي نفسك بالانكار... لقد أردت أن أكون معك في ذلك الفراش ليلة أمس، غير عابئة أكانت كتفاك محروقتين أم لا. وكنت على وشك النيل مني، ولن اتظاهر بالعكس. إنها تفاعل رغبات بيننا... وهذا الوضع المشتعل ليس جديداً علينا. لكنني هذه المرة لا أريد التلاعب، ولا أنت على ما أعتقد.

ـ أنا لم أطلب منك البقاء. كانت هذه فكرتك كلياً!

ـ أعرف.. لقد نالت مني غرائزي.. لكنني لن أسمح بهذا.. سأعود معك لأوقع الاوراق.. أموافقة؟

أعطتها كبرياؤها القوة التي تحتاجها:

ـ عظيم.. هذا كل ما أريده أساساً.. سأعود الى الفندق الليلة، ولك الاحتفاظ بصديقتك وبذلك يبقى الجميع سعداء.

قال بلهجة صارمة:

ـ ستبقين هنا، إذا كنت تريدين مني القيام بالرحلة معك.

ـ لماذا؟ ألأنك تريد أن تُظهر لي أنني لست الأنثى الوحيدة في حياتك... لا يحدث دائماً أن يحتفظ الرجل بزوجة وعشيقة في المنزل نفسه.

ـ ثمة احتمال كبير في أن ينتهي الامر بضربك قبل أن تغادري هذا المكان.. كريستين ليست عشيقتي!

بدأت سيطرتها على نفسها تنسل تدريجياً، فتشبثت بها:

ـ وهل لهذه الحسناء من اسم اخر... لا تتوقع مني الجلوس بهدوء وتقبل الامر لوك... أنا لست ألعوبة.

ـ أيصدر هذا الكلام من امرأة تعتبر الحجارة القديمة أهم من احترام الذات. إن هذا لمضحك.. أنت من زججت نفسك في هذا المأزق، وعليك أن تقبليه... سأدخل لأغير ثيابي.. فسنخرج للعشاء..

ـ لن أخرج معكما.

لم يتوقف وهو يتوجه الى الباب:

ـ لك ما شئت.

ليس في قول لوك ما تعترض عليه لأنها تريد ذلك أيضاً. فلماذا توجع قلبها؟ إنها حتى لا تهتم كثيراً برأيه فيها، ولم تهتم يوماً. كل ما سيقوم به هو أن ينقذها من ورطة المنزل، ويجب أن تكون سعيدة لهذا، لا حزينة.

حين دخل لوك كانت ما تزال تجلس في غرفة الجلوس، ساهمة مفكرة.

www.elromancia.com

ـ ألن تغيري رأيك؟

فهزت رأسها مبتسمة ساخرة:

ـ لماذا تزعج نفسك. أنت تعرف أننا في غير مكاننا المعروف لنا، لا نطيق البقاء معاً. اخرج وتمتع.. وسأكون هنا حين تعود.. وأنا مضطرة للبقاء كما تعلم، فبدونه أخسر تعاونك؟ أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح.. سيكون لك ذلك التوقيع.

ثبت لبيت، في الصباح التالي أن كريستين دليل ممتاز بالنسبة للتسوق.. فقد رافقتها الى افخم المحلات والمخازن حيث البضائع معروضة بذوق وترتيب. اشترت بيت بعض الاشياء الصغيرة، إضافة الى خف جميل اعجبها، لكنها لم تفكر كثيراً في اضافة شيء الى ثيابها. فأية قطعة ملابس تشتريها هنا ستذكرها به كلما ارتدتها، وهذا ما لا تريده.

كان منظر المدينة من المطعم الدوّار الواقع على أعلى سطح في كاليفورنيا عظيماً. وقد بان منه الميناء الذي تتنوع فيه وسائل النقل من المراكب الشراعية الى ناقلات النفط العملاقة. كما بان الامتداد الاخضر الساحر لحديقة كاليفورنيا العامة التي تعد من أكبر الحدائق في العالم. أما البحر الواسع فبدا من خلف مصب النهر، على مسافات بعيدة. إن رؤية المدينة من هذا الارتفاع، بشوارعها العريضة، وسياراتها المتحركة بطريقة مركزية ضخمة، بدت وكأنها لعبة لمدينة عملاقة. وعاد الجسر فظهر أمامها في أواخر مرحلة من طعامهما، وذلك بعد أن أكمل المطعم دورته في ساعتين. قالت كريستين:

ـ نستطيع القيام برحلة بحرية الى الخليج في المركب البخاري في المرة القادمة.

ـ أمامنا وقت طويل، فلماذا لا نقوم بها الآن؟

ـ يجب أن نذهب لرؤية لوك في المكتب، ونأخذ مفاتيح السيارة.

ـ سيارة؟

ـ فكر في أننا سنحتاج الى وسيلة نقل. وقد قلت له إننا سنمر لنأخذها أثناء التسوق. لا يبعد مكتبه عن هذا المطعم إلا قليلاً.. ويجب أن ندفعه حتى يُرينا المصنع يوماً.. لقد وسّعه لتوه. إذ سيحتاج الى أحواض بناء جديدة لمراكبه وطوافاته المتطورة. فالجميع يهتم بالانتقال السريع والرخيص، خاصة في مناطق البحيرات، ثم هناك مبيعاته لأوروبا.

ـ يبدو أنك تعرفين الكثير عنه.

ـ أعرف ما يقوله لي فقط. ففي هذا يمثل الطريقة الاميريكية في العمل: حين لا نكون في العمل، آنسة، فنحن نقدّر وقت راحتنا أفضل تقدير.

وتحركت كريستين الى الامام وقد خفت سرعة المصعد الهابط بهما:

ـ عدنا الى الارض.. هيا بنا.

بدت الحرارة في الشارع مرتفعة لذا حين وصلت بيت الى مكانهما المنشود أحست بالارتياح. لحقت كريستين المتجهة نحو المصعد، الذي اندفع بسرعة الى الاعلى.

كان للوك مكتب يقع في الطابق الثامن عشر. فيه سكرتيرة في أواسط الثلاثين، كفوءة، مرحة، يبدو أنها كانت تترقب وصولهما. قالت تنصحهما:

ـ لديه موعد عند الثالثة، وهذا يعني أنه ليس أمامكما سوى عشرين دقيقة لا غير.

ـ سنخرج بعد عشر دقائق.. أنستطيع الدخول؟

ـ الافضل أن أخطره بوصولكما... زائرتاك هنا سيدي، هل أدخلهما إليك.

تصاعد صوته من الانترفون حاداً:

ـ أجل.. وأين الرسالة التي طلبتها منك؟

ـ مازلت أبحث عنها.. إنها دون شك في ملف آخر...

أقفلت الخط، ثم ابتسمت لهما:

ـ أرأيتما ما أعني؟ ادخلا.. ولكما أمنياتي بحظ أفضل.

كان لوك يقف عند النافذة ينظر الى المدينة. طاولته أمامها تماماً، وكرسيه مدفوع الى الوراء. كانت الابتسامة التي استقبلهما بها خالية من الحماس.

ـ وقتي ضيق.. لذا فلنختصر.. السيارة البويك البيضاء متوقفة قرب سيارتي. سيدلكما البواب إليها..

عاد الى الطاولة فالتقط حلقة مفاتيح وقدمها الى كريستين التي كانت الاقرب إليه.

ـ خزانها مليء بالوقود، ومؤمن عليها باسميكما.

ـ ما كان عليك أن تزعج نفسك، فلو أردت القيادة لاستأجرت سيارة!

رد عليها بالحدة واللؤم ذاتهما:

ـ تستطيعين ذلك. لن يوقفك أحد.

أجبرت بيت نفسها على تلقي نظرته الحادة دون ارتجاف.

ـ ألن يسهل الامر علينا جميعاً لو عدت الى الفندق؟

ـ سبق أن قلت إنني لن أقبل.

ـ بل تعني أنك لم تكتفِ بعد من انتقامك! ولا يجب أن أحرمك من هذه المتعة.

تحركت كريستين بحدة:

ـ أعتقد أن علينا الذهاب قبل أن يقول أحدكما شيئاً يندم عليه.

سيطر لوك على نفسه بسرعة:

ـ فكرة جيدة. على فكرة، سنخرج جميعاً للعشاء الليلة، جميعاً. إنها دعوة من جاك دستن الذي اقترح أن نتعشى في المطعم الجديد قرب مبنى المعرض. سيحضر لاصطحابنا من المنزل، فلا فائدة من الخروج في سيارتين.

استمر ينظر الى بيت وهو يتكلم يراقب ردة فعلها بشفتين ملتويتين:

ـ تذكري يا بيت انه صحافي.. وإذا تقصّى أخباراً ما لن يتوانى عن نشرها.

ردت عليه بسخرية:

ـ دون شك يظنك قد بدأت تؤسس «حريماً».. فلا تقلق سأحاول جهدي تضليله... فالرومانسية وصناعة السفن لا ينسجمان.

سارعت كريستين الى المقاطعة مرة أخرى:

ـ سنذهب الآن.. نراك فيما بعد لوك.

تبعتها بيت دون اعتراض، مدركة جيداً دقة الخط الذي تسير عليه.. فإزعاج لوك بهذه الطريقة لا يفيد، ومع ذلك لم تستطع منع نفسها.. لقد أرادت أن تؤلمه، كما المها ويؤلمها. والكلمات هي السلاح الوحيد الذي تملكه.

في السيارة التفتت كريستين إليها بحدة:

ـ في يوم ما ستتمادين أكثر من اللازم.. لم أشاهد لوك من قبل غاضباً هذا الغضب كله. نعم، يقع عليه اللوم أيضاً لقبوله

www.elromancia.com

عرضك. لكنه على الاقل يرغب في التعويض عن ذلك بالعودة الى انكلترا.

ـ لقاء ثمن!

ـ إذن فهو من البشر. وليس من الضروري أن أقول إنه محق بهذا الطلب.

ـ أتقبلين معه إذا كان هذا ما يريده فقط؟

ساد صمت قصير ثم قالت كريستين:

ـ يجب أن تعرفي شيئاً.. ليس بيني وبين لوك علاقة كما تظنين.. هل يسهل عليك اعترافي هذا الامر؟

ـ صدقاً هذا لا يهمني.. إنه ليس ملكي.. كل ما أريده الخروج من منزله!

ـ أشك في أنه سيسمح لك. ليس وأنت ترغبين في أن ينفذ ما تطلبينه منه. وكما قلت، لقد وضع الثمن، وهو ثمن زهيد، فكل ما يطلبه منك بعض التنازل من قبلك.

ـ أتعلمين لماذا أحضرك الى المنزل كريستين؟

كانت الابتسامة على طرفي نقيض مع الرد:

ـ لأنه يجد صعوبة في مقاومتك.. لقد أخبرني هذا. وأنت محظوظة لأنه لم يشرك عواطفه بالثمن، مع أنني لا أظنها ستكون عقوبة شنيعة.

بدا كلام كريستين مقنعاً. هل ما تقوله الحقيقة؟ كريستين في المنزل بناء على دعوة من لوك، أكان يعاشرها أم لا؟ قالت فجأة:

ـ إذا كنا سنتابع الحديث، فلنتحدث في موضوع آخر.

ثم طفقتا تتحدثان فترة عن مهنة التمثيل التي تمارسها كريستين وعن حياتها المسرحية... وكانتا غارقتين في حديث

عميق حين وصلتا الى المنزل.. لكن ما أن أوقفت كريستين السيارة، حتى عادت بيت الى واقعية وضعها مكرهة، تحس ببعض الارتباك في ذهنها. فانشغال كريستين هكذا في حياتها العملية جعلها تتساءل، كيف يوافق لوك على ذلك؟

وسألتها:

ـ إذا اضطررت لترك عملك.. فهل ستتمكنين من هذا؟

تأخر الرد، وقد كان وجه كريستين الى الامام ويداها على المقود، وقسماتها خالية من أي تعبير.. ثم قالت:

ـ لو اضطررت الى الاختيار بين مهنتي وبين من أحبّ.. أجل، أترك عملي.

فتحت باب السيارة قبل أن تقول بيت شيئاً.

كانت بيت في غرفتها تستريح حين سمعت صوت سيارة لوك تصل، في السادسة مساء. حيته من الردهة كريستين التي ارتفع صوتها بوضوح عبر باب غرفة النوم المفتوح جزئياً.

ـ بيت نائمة... أتظن أن فكرة العشاء الليلة فكرة جيدة؟

لم تستطع بيت سماع رده بسبب صوته الخفيض... وكان رد كريستين:

ـ لا أظنها تفعل هذا. أعتقد أنها تكره نشر القصة وجعلها علنية أكثر مما تكره أنت. تعال نتناول المرطبات على الشرفة، أمامنا وقت طويل بعد.

بعد أن ابتعد وقع أقدامهما بقيت بيت مسمّرة فوق الفراش، تحدّق في السقف.

إذن لوك يعتقد أنها دفعت جاك لدعوتهم الليلة. على الاقل هذا ما فهمت من الحديث.. لكن ما هو الدافع الذي يظن أنها تسعى إليه. ثمة دافع يمكنها بسهولة أن توفره له.

www.elromancia.com

٩ ـ لا أريدك

انتظرت بيت حتى جاء جاك لتنضم إليهم جميعاً في غرفة الجلوس.

قال جاك معلقاً على جمال الفتاتين:

ـ لا يدهشني احتفاظك بهما لنفسك يا رجل... لكنت فعلت الشيء نفسه لو كنت مكانك.

الخفة في الرد كانت تتناقض مع قساوة عينيه:

ـ على الرجل أن يحاول.. أترغبين في شرب شيء قبل أن نخرج بيت؟

ـ لا.. سأنتظر حتى نصل الى المطعم. شكراً لك. هل المكان بعيد؟

ـ ثلاثين ميلاً تقريباً.. حين نصل يكون الظلام قد حلّ.. لكن قيل لي إن المطعم رائع... وكل ما أتمناه أن نجده كما نتوقع.

تبين لهم أن المطعم منزل أثري قديم، يقع في وسط أراضٍ تابعة له. كان الطابق الارضي من المطعم مزدحماً وكثير الضوضاء. لكن الطعام رائع، والخدمة ممتازة.

أجابت صادقة حين سألها جاك عن رأيها:

ـ أرجوك لا تفهم كلامي على غير محمله إذا قلت إنني لم

أتوقع أن أجد المكان رائعاً هكذا.

فأجاب:

ـ لست وحدك في هذا... فالكلام عنه ينتشر.

وأشار الى باحة الرقص الصغيرة:

ـ أتودين الرقص؟

تجنبت النظر الى لوك:

ـ سأخاطر معك.

ما إن أصبحا فوق الحلبة حتى جذبها إليه، ووضع يديه على ظهرها. وقال همساً قريباً من أذنها:

ـ لست واثقاً من نجاح الفكرة.. فالمكان صغير.

ـ نظراً لعدد الناس هنا من الافضل لو وضعوا طاولات في الفسحة واكتفوا بالموسيقى.

ـ يعتقدون دائماً أن الناس لن يقصدوها إذا لم يكن هناك مكان للرقص... أتعلمين.. أظنني فكرت في بعض الردود!

ـ ردود؟ عمّ؟

ـ عن سبب اقامتك وكريستين معاً. لقد فاجأته بوصولك دون انتظار فاحتاج الى طرف ثالث ليبرّد الاجواء. هل اقتربت من الحقيقة؟

أرادت بيت فجأة أن تضحك.. لقد اقترب من الحقيقة لكنه مع ذلك ما يزال بعيداً!

ـ قلت بضعة ردود.

ـ ربما كان هذا بعيداً قليلاً. أظنك جئت الى هنا خصيصاً لتري لوك... لكنني لست أدري لماذا؟

ـ ما رأيك بقلب كسير محطم؟

ـ ليس أنت! فلست من هذا النوع الطري. ربما هو مطلب

www.elromancia.com

تكرهين طلبه... على الاقل، هذا هو الانطباع الذي فهمته يوم الاحد.

صدمتها توقعاته القريبة من الحقيقة:

ـ أعطيك علامات مرتفعة على ملاحظاتك الدقيقة.

صمت دقيقة قبل أن يقول:

ـ أهذا كل ما ستقولينه لي؟

ـ لم أقل لك شيئاً... ما تقوله ليس إلا تكهنات.

ـ لكنك لم تنكريها.

ـ ولِمَ أُنكر؟

تنهد جاك مستسلماً:

ـ ما أسأله ليس سببه الفضول المهني.. أنا لا اسعى وراء إشاعات اجتماعية. بل أنني عاطل عن العمل.. عطلّت ستة أشهر لأجرب نفسي في تأليف الكتب..

ـ وتحتاج الى مواد؟.. أوه.. آسفة، ما كان يجب أن أقول هذا.

ـ لا تأسفي كثيراً.. فمنذ أن رأيتك أحسست بأن هناك قصة ما تتعلق بلوك.. فأنتما أكثر من صديقين، ثمة شيء ما في نظرة كل منكما الى الآخر... هل أنت في مشكلة؟

ضحكت بحدة:

ـ ليس كما تفكر، فتوقف عن الصيد في الماء العكر جاك.

ـ أريد أن أساعدك، فقط.

ـ لماذا؟ أنت لا تكاد تعرفني.

ـ وإن يكن؟.. ألايمكنك قبول أي شيء كما يظهر لك؟

ـ لا. فلست طفلة جاك، ولي القدرة على حل مشاكلي.. شكراً لك على أية حال.

ـ حسناً.. أنسي الامر.. كم ستقيمين هنا؟

ـ أسبوعاً أو أكثر.

ـ الى أن يعود لوك من نيويورك؟

ـ أجل.

ـ بما أنك حرة طوال الاسبوع القادم فسأرغب في رؤيتك.

قبلت بيت الفكرة فبعد سفر لوك لن تبقى كريستين طبعاً... بل لن تبقى هي أيضاً إذ لا داعي الى انتظاره في بيته بل الافضل لها العودة الى الفندق حيث ستمضي الوقت في رؤية معالم المدينة، ولابأس عندها برفقة جاك.

قالت له:

ـ اعطني رقم هاتفك.. قد أتصل بك ربما. أتسمح أن نعود الى الطاولة.. أنت على حق المكان فعلاً مكتظ بالناس.

أعلن لوك حالما وصلا:

ـ آسف لإنهاء الامسية بسرعة. لكن كريستين تحس بالصداع.. ومن المؤسف أننا جئنا جميعاً في سيارة واحدة.

رد جاك:

ـ لابأس. فالمكان ليس كما توقعته تماماً. سأراكم في السيارة بعد دفع الفاتورة.

فتح لوك باب السيارة بالمفاتيح التي قدمها له جاك، فجلست الفتاتان في الخلف. وجلس هو في المقدمة قرب السائق.

سألت بيت كريستين:

ـ كيف حال رأسك الآن؟

سارع لوك للرد:

ـ ليس لديها صداع، وأنت تعرفين هذا.. أنا من أردت الانصراف.

www.elromancia.com

- وما تريده تحصل عليه، بالطبع.

استدار لوك في مقعده ليرد، فقالت كريستين:

- جاك قادم، سيتساءل عما يجري إذا دخل السيارة ووجد هذا الجو المشحون!

- ربما لن يتساءل. فصديقنا جاك ذكي جداً، وظريف. ما لا يعرفه.. يتكهنه.

رغم انصرافهم الباكر، وجدوا الساعة تتجاوز الحادية عشرة حين وصلوا المنزل. فلما دعا لوك جاك للدخول رفض جاك دعوته وترك المحرك يشتغل.. ثم بعد أن خرجوا جميعاً، أطل رأسه من النافذة قائلاً:

- لا تنسَ يوم الاحد لوك. سأخبرك أين سنسبح.. أنت مدين لي بسباق اخر يا رجل.

- ستحصل على ما تريد.. شكراً لك على العشاء.

كانت كريستين أول من تحرك لتدخل المنزل هي تقول:

- سأوي الى غرفتي، فقد أصبت حقاً بالصداع أثناء عودتنا... هذا الى أنني لا أرغب في أن أكون موجودة وأنتما تسوّيان مشاكلكما.

فقالت بيت:

- بالنسبة لي.. لا شيء بحاجة لتسوية.. فلماذا لا نذهب جميعاً الى النوم؟

رد عليها لوك بلهجة مصممة:

- لأن هناك أمراً أو أمرين أود قولهما لك. أرغبت في سماعهما أم أبيت... كريستين، هل ستكونين على ما يرام.. هل أحضر لك شيئاً؟

- الصداع ليس بهذا السوء. هل أستطيع التحدث إليك

للحظات؟

فقالت بيت:

- لا تهتمي بوجودي، فسأنسحب الى غرفة الجلوس.

لحق لوك بها بعد بضع دقائق، دون أن تتغير تصرفاته. وسألها:

- ماذا أخبرت جاك؟

- لا شيء.. بل لم أحتج الى اخباره.. فقد جمع اثنين واثنين واستنتج القصة.

ابتسامتها تحمل السخرية، حتى على نفسها:

- لقد ظنني حاملاً منك، جئت لأطالبك بحقوقي.. الزواج. لقد ظنني واحدة من «إياهن». لكنني أقنعته بالعكس، وقد اضطررت أن أعده بقضاء بعضاً من أيام الاسبوع القادم معه، لأزيده اقتناعاً.

- لن تكوني هنا في الأسبوع القادم، لقد عدلت مواعيدي. سأطير الى نيويورك صباح الغد وأعود مساء السبت لنسافر الى انكلترا صباح الاثنين.

حدقت فيه عدّة ثوان.. ثم قالت:

- لماذا؟.. لماذا غيرت رأيك؟

جاءها الرد قاسياً، تضرب كل كلمة رأسها كمطرقة:

- لأنني أريدك خارج حياتي في أسرع وقت ممكن.

لم تحاول إخفاء المرارة في صوتها:

- أعرف هذا الشعور. سأوضب حقائبي واستعد. أتمانع الآن لو ذهبت الى النوم؟

- هيا.. اذهبي.

كان الليل عليها طويلاً، جفاها فيه النوم إلا قليلاً... بعد

www.elromancia.com

أن غفت بعض الوقت استيقظت في الثالثة صباحاً، وبقيت مستلقية في السرير تفكر في أن لوك سيسافر بعد ساعات... وسيبقى أمامها أربعة أيام قبل عودته.. ماذا ستفعل؟ كيف ستقضي هذه الايام الاربعة؟ لن تقضيها مع جاك دستن، بالتأكيد. فهو قادر على رؤية ما في داخلها بسهولة، وكذلك كريستين. لكن إذا بقيت الفتاة هنا، فلا مجال لتجنبها.

نهضت من سريرها أخيراً، إذ لم تعد تطيق التفكير لحظة أخرى، كان المنزل صامتاً وصوت البحر المتكسرة أمواجه عند الشاطىء يرتفع في أذنيها. أرتدت روباً رقيقاً فوق ثياب نومها، وخرجت الى الشرفة.. الطقس في الخارج بارد على عكس ما كان عليه نهاراً، ومياه البحر تلمع تحت أشعة القمر الفضية... والبحر من بعيد... بعيد.. يمتد عشرات الآلاف من الاميال فاصلاً إياها عن وطنها...

العشب طري تحت قدميها الحافيتين، كالمخمل. إنها أرض الملك الزرقاء، كما يسميها لوك. كان سياج منخفض هو كل ما يفصل الحدائق عن شاطىء البحر. فتوجهت الى بوابة السياج حيث كان الشاطىء يمتد، فسارت تتنسم الهواء المشبع برائحة الماء، وتحس بحبيبات الرمال تتخلل أصابع قدميها وتخرج ثانية. توقفت عند حافة المياه تماماً. تراقب زبد البحر وتلاطم الأمواج.

نسيت الزمن وهي واقفة هناك.. لكن حين أحست بأنها لم تعد وحدها، أدارت رأسها فإذا لوك على بعد أقدام منها. يتأملها ويداه في جيبي سرواله. قال ساخراً:

ـ أتفكرين في الغطس.. أم أنك تسيرين في نومك؟

ـ لم استطع النوم.. فجئت الى هنا. آسفة إن أيقظتك.. لكن ما كان عليك اللحاق بي.

ـ لم أكن نائماً كذلك. ولم أكن واثقاً مما تفكرين فيه.

ضحكت ضحكة قصيرة ساخرة:

ـ لم أكن أنوي الانتحار.. إذا كان هذا قصدك... فعقلي لا تشوبه شائبة.

ـ صحيح؟ انظري إليّ وقولي إنك تملكين كل ما تريدينه من الحياة في هذه اللحظة؟

ـ لا.. ولكنني سأمتلكه عندما توقع. لن تفهم أبداً مشاعري تجاه «كوبرن فارم».. بالنسبة لك المنزل هو مكان للسكن.. صحيح إنك أنت من صممت هذا المنزل، لكنني أشك في أن يعني لك شيئاً.

ـ هذا يأتي في أسفل قائمة الأولويات لدي.. فمن يعيش في المنزل هو الذي يجعله مميزاً، لا العكس. «كوبرن فارم» لن يعود كما كان أيام جدك الأول. مهما يكن عدد الازواج الذين قد تجربين ملأه بهم.. فما من عائلة عصرية قد تملأ أرجاءه بالطريقة الملائمة له.

ـ ماذا تقترح إذن.. أن اسلمه للهدم كي أفسح المجال لما يدعى العمران؟

ـ أبداً.. لو كنت مكانك لحولته الى دار نقاهة أو الى ما هو مماثل. إنه رائع لشيء كهذا. أو ما رأيك بمؤسسة صحية؟ إذا استخدمت القليل من رأسمالك ومضيت في هذا الطريق تكسبين في مدة قصيرة ثروة ضخمة أخرى وبذلك يبقى لجيرارد عملاً إذا أراد. تصوري الفخامة التي سيعطيها وجوده للمكان!

صاحت به بحدة:

ـ اصمت! لا أريد سماع المزيد!

ـ لأنك تعرفين أنني أقول الحق وعين العقل. إن ذلك المبلغ

سيتجاوز أي ثروة تركها والدك. فكري ملياً في هذه الناحية مستقبلاً.

صاحت به، تدافع كي تخفي مشاعرها:

ـ أليس الافضل لك أن تعود الى المنزل قبل أن تفتقدك عشيقتك؟ فالفراش سيبرد.

الشرر الذي تطاير من عينيه الرماديتين كان سريعاً ومخيفاً.. سحبت ذراعها من يده وارتدت على عقبيها تولي هاربة منه. ولأن الرمل كان يخفي وقع أقدامه، لم تعلم مدى قربه منها.

كانت تشهق لتتنفس حين أمسك بها. منهكة الى حد جعلها لا تقدر على المقاومة. أدارها لتواجهه بيدين كالفولاذ.

ـ لقد حذرتك أيتها اللعينة...

وضربته، بشكل أعمى على وجهه النحيل الاسمر. ثم وجدت نفسها مستلقية على الرمال وثقل جسده فوقها، يؤلمها ولا يؤلمها. فهذا ما كانت ترغب فيه كذلك... ترغب في أن يغمر حبه الدافق كل شيء عداه.

استجابت له بطريقة فجائية، فاستسلمت كل الاستسلام ولفت يديها على ظهره تجذبه وتضغط جسده على جسدها، وإذا بغضبه يتلاشى وبيديه تسترخيان فتلمسانها بطريقة الهبت النار في مشاعرها. وحين التقى جسداهما بدا لها إنهما لم يفترقا لحظة.

كان لوك البسّاق للسيطرة على نفسه، ابتعد عنها فجأة ليجلس ويسوّي ملابسه. ثم قال دون أن يدير رأسه نحوها:

ـ لن أعتذر. أنت من دعوت هذا.

ـ كلانا أراده. ألم يكن هذا سبب مجيئك بكريستين؟

ـ ما الفائدة.. كان عليّ أن أرضى بالواقع. على كل لم يعد الامر مهماً الآن.

ـ ليس بالنسبة لي. لن أخبرها بما حدث الليلة، إذا كان هذا ما يقلقك. فلست فخورة بما حدث.. أتسمح بأن تعطيني خمس دقائق قبل أن تلحق بي الى المنزل؟ فلست واثقة من أنني سأطيق قربك مني.

بدا عليه التعب وهو يرد:

ـ طبعاً.. ستتغلبين على هذا الشعور.

حين استيقظت بيت في الصباح.. وجدت دورين تنظف البيت وكريستين تجلس في الخارج قرب البركة. كارهة الالتقاء بدورين، نزلت من المدخل الخلفي لتنضم الى كريستين تحت المظلة، وسألتها كريستين:

ـ هل تهربت من الاستجواب أيضاً؟ أتعرفين ذلك المثل عن الفضول الذي قتل القطة؟ أظنك التقيت صديقتنا يوم الاثنين.

ـ أجل.. وماذا قلت لها؟

ـ لا شيء. تظن أنه سافر لأنه لم يتحمل وجود اثنتين في حياته.

ـ إذن لقد سافر؟

ـ أجل.. في الصباح الباكر.. أقال لك إنه عائد يوم السبت؟

ـ أجل.. أتنوين البقاء هنا حتى ذلك الوقت؟

ـ لا.. سأغادر بعد الظهر.. سألتقي زوجي القادم من كندا غداً صباحاً، ويجب أن أكون في ميامي هذه الليلة.

ـ زوجك؟ لست أفهم...

ـ الامر بسيط، لوك يعرف أن زوجي مسافر وان المسرح الذي أعمل فيه مقفل. حين شرح لي الوضع عرضت عليه المساعدة.

ـ لكنني كنت أظن.. لقد قلت لي...

وصمتت تفكر فيما سمعت .. هل فسرّت كل شيء بطريقة خاطئة منذ البداية؟

ردت كريستين:

ـ كانت هذه فكرتي. لم أصدق في البداية حين قال لي إنك سافرت فقط لتطلبي منه توقيع بعض الاوراق، ثم تدنى مستوى تصديقي حين رأيتكما معاً. ففكرت أنني مضطرة للتظاهر بشيء، فزوجي صديق حميم له ومنذ تزوجنا كنا نؤلف ثلاثياً رائعاً. لوك يسافر الى فلوريدا كل شهر ليحضر عرضي المسرحي الجديد.

ـ لكنك قلت إنك.. تحبينه.

ـ نعم.. إنه الرجل الأحب الى قلبي بعد زوجي... لقد حاولت أن أؤكد لك أن لا علاقة بيننا. أتذكرين؟

ـ أذكر هذا. حسناً شكراً لك ما قمت به لكن ما أريده منه هو توقيعه، ثم سأكون أكثر من سعيدة لتركه.

ـ التوقيع على ماذا بالضبط؟ لم يفسر لي لوك الوضع.

ـ وأنا كذلك لم أشاهد تلك الاوراق.

ـ أواثقة أنت أنك لم تتخيلي الامر، كي تعيدي لوك الى انكلترا معك؟

ـ لا.. مستحيل! المحامي قال لي إنه يجب أن يعود. ولا بد أنه يعرف عما يتكلم.

ـ لكنني مازلت أعتقد أنك تخدعين نفسك بشأن مشاعرك. هل توقفت يوماً للتفكير لماذا اتخذت رجلاً كهذا لتنفيذ لعبتك منذ البداية؟

ـ حدث أن ظهر أمامي في الوقت المناسب.

ـ رجل خذلته مرة؟ إنه لا يكاد يعتبر المرشح الأمثل، أليس كذلك؟

هزت بيت كتفيها:

ـ اقتربت بسرعة من موعد خسارتي المنزل، لذا لم أفكر في نفسي..

ـ كان عليك أن تفكري في كل الامور القانونية قبل أن تعقدي عقد الزواج لذا أظنك فقدت صوابك حين شاهدت لوك ثانية، ورميت نفسك عليه كالعمياء، آملة بأن تصطلح الامور.. ولكانت اصطلحت لو بقي وقتاً كافياً معك.

ردت بيت بارتجاف:

ـ أنت مخطئة. لقد ارتكبت خطأ في الحكم. هذا كل شيء. هل لنا أن ننسى الموضوع برمته.. أرجوك؟

تنهدت كريستين:

ـ إذا كان هذا ما تريدين. لكنني أظنك غبية.. كان بامكانك جعله يأكل من راحتي يديك كالقط الأليف.. وربما مازلت قادرة على هذا.

هل ما قالته كريستين صحيحاً؟ هل تقدمت بهذا العرض وفي نفسها أمل دفين يرجو أن يرفض ترك حياتها ثانية بعد أن يتزوجا؟ ما من رجل آخر جعلها تشعر بالاحاسيس التي أحستها معه.. إن عدم شعورها بأي شيء مع ويليام جعلها تتركه معلقاً وقتاً طويلاً.

حتى وإن كانت افتراضات كريستين صائبة، فما الفائدة؟ إن هذا لن يساعدها الآن.. فكل ما يريده لوك الآن.. هو أن يتخلص منها.

● ● ●

www.elromancia.com

١٠ ـ قاهر الموج

بعد رحيل كريستين بعد ظهر ذلك اليوم بدا المنزل صامتاً صمتاً شديداً.. فسمعت طقطقة القرميد وهو يتمدد تحت أشعة الشمس بعد تقلصه في برد الشتاء الذي حمل عصاه ورحل. أتقدر على الصبر على هذا الصمت في الايام الثلاثة القادمة. ستنتقل الى الفندق أأعجب ذلك لوك أم لم يعجبه.

كانت جاهزة للرحيل حين وصلت سيارة الاجرة التي طلبتها.. تركت رسالة في مكان ظاهر من المطبخ تشرح فيها ما حصل، ثم حملت معها مفاتيح البيت لعلمها أن مع لوك نسخة أخرى.. وعلى هذا ستواجه دورين مفاجأة أخرى يوم الجمعة.

استأجرت في الفندق نفسه الغرفة ذاتها. وهي غرفة تطل على منظر أصبح مألوفاً لها. تساءلت كيف أحس لوك يا ترى عندما زار هذه المدينة وكم من الوقت قضاه حتى اعتاد عاداتهم وتقاليدهم. ربما وجد عاداتهم عادية، فالصعوبة عادة تكمن عند من هم أمثالها.

إنها تخدع نفسها، وهي تعرف هذا. فلو شجعها لوك لقبلت بكل ما في هذا البلد ولرضيت بالعيش في أي جزء يحب أن يستقر فيه لوك. فما هو الاهم، ليس المكان الذي أنت فيه بل مع من تكون أنت. وبدون لوك لا مكان في العالم كله.

أمضت اليومين التاليين تفعل كل ما يفعله السائح... استكشفت المدينة وضواحيها سيراً على الاقدام أو بالباص. قطعت الميناء في العبارة. وتجولت في دار الاوبرا، وزارت بعض معالم البلد.

يوم الجمعة قامت برحلة بحرية رائعة بواسطة سفينة سياحية جالت بهم مدة كبيرة.. ثم زارت المتحف حيث تعرض آثار تعود الى أيام كولوجبوس.

عندما حل المساء كانت على أتم الاستعداد للقاء لوك... فبعد أيام ستكون في انكلترا.. وبعدها بخمسة أو ستة أيام سيخرج من حياتها الى الابد.

أمضت يوم السبت متكاسلة حول بركة السباحة في الفندق. غير مبالية بشيء حتى بالغداء. حين صعدت الى غرفتها لتستحم في الثالثة من بعد الظهر تساءلت متى يصل لوك؟ وهل سيقصدها في الفندق أم لا؟ يوم الاثنين سيكون يوماً مرهقاً.. ساعات وساعات داخل الطائرة، وهذا وحده كفيل بارهاق أي علاقة ثابتة.

كانت على وشك الدخول تحت الماء حين بدأ جرس الهاتف بالرنين. وبقلب خافق، توجهت لترفع سماعة الهاتف داخل الحمام.

سمعت صوت لوك يقول:

ـ لقد عدت لتوي.. متى تركت المنزل؟

ـ يوم الاربعاء، بعد رحيل كريستين مباشرة. أتوقعت مني البقاء هناك وحيدة؟

ـ أتوقع أن تفعلي أي شيء وأظن أنك تفضلين البقاء حيث أنت حتى موعد السفر؟

- أجل.

- ربما هذا أفضل. أتظنين أن بامكانك قضاء يوم على الشاطىء.. أم لديك خطط أخرى؟

وحل التعقل مكان العناد.. فلا طائل من قضاء يومها وحيدة.

- ليس لدي أية خطط.

- إذن سأحضر لأصطحبك في الثامنة والنصف.

مر عليها من قبل أيام وأمسيات وليال طويلة مملة، لكن ذلك السبت كان أسوأها.. استيقظت قبل الفجر. وضبت اغراضها في الحقيبة إلا ما ستستخدمه ذلك اليوم وصباح الغد. لقد مر عليها اسبوع كامل اليوم في هذا البلد.. بدا لها سنة، ترى كيف ستكون الاسابيع والاشهر المقبلة. إن هذا ما خشيت التفكير فيه، لكنها في قرارة ذاتها تعلم أن المستقبل القادم مر.

احضر لها القهوة والتوست الى الغرفة عند السابعة والنصف، بعدها ارتدت البيكيني والثوب الذي حضرته للشاطىء ثم في الثامنة والربع نزلت الى فناء الفندق، وفي يدها نظارتها الشمسية التي وضعتها حالما دخل لوك من الابواب الدوارة، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستتمكن فيها من مواجهته

وصل بعد خمس دقائق، فلم يحاول لمسها حين انضمت إليه. سارا معاً الى سيارته، ثم قال باختصار وهو يجلس وراء المقود:

- سنتوجه شمالاً.. الآخرون سبقونا بكل تأكيد. ألديك كل ما قد تحتاجين إليه؟

هزت بيت رأسها إيجاباً تحس بالتوتر يتصاعد، سيكون لقاؤهما أسوأ مما تصورت. فله في كل لحظة تأثير مختلف على

أعصابها. فلن تحس بعد اليوم بهاتين اليدين على جسدها، ولا بلمسة شفتيه، ولن تعرف الرغبة المجنونة بين ذراعيه.. نعم هي لا تنكر أن هناك رجالاً في العالم.. لكن ما من أحد مثله. آه ليتها تستطيع إعادة عقارب الزمن؟ ترى أفي إرجاعها خير؟ فبدون ما تعرضت له في الحياة وما تعلمته منها، كانت دون شك ستكرر الاخطاء ذاتها.

سألته:

- كيف كانت رحلتك.. ناجحة كما أمل؟

- جداً.. سنضطر الى التوسع كي استطيع مجاراة الاسواق.

- نضطر؟

- أعني الشركة.. لقد جمعت مجلس الادارة ليلة أمس وعرضت عليهم العمل الذي يجب أن يقوموا به خلال الاسبوع القادم.

عضت على شفتها تشعر بالذنب:

- إنه ليس وقتاً تستطيع أن تسافر فيه.. أليس كذلك؟

لم تكن هزة كتفيه انكاراً:

- وجودي ليس ضرورياً جداً. فلا تقلقي.. لن أخذلك.

أغرتها نفسها بأن تقول له إنها غيرت رأيها بشأن الطلب منه العودة معها لكنها قاومت هذا الاغراء. إذ عليها أن تحافظ على صورتها أمامه مهما كان الثمن، فإن أي تغيير فيها سوف يثير السؤال الحتمي: لماذا؟ وهذا سؤال لا تود الخوض فيه.

وصلا الى مقصدهما حوالي العاشرة والنصف، فأوقفا السيارة قرب سيارات عديدة متوقفة على الخط الساحلي. كان الشاطىء مكتظاً بالناس، وكان البحر الازرق متراقصة أمواجه. هذه الامواج التي كانت تتسابق وصولاً الى الشاطىء حاملة معها عشرة أو ما

www.elromancia.com

يزيد من المتزلجين على متنها.

- اتركي اغراضك في السيارة، هذا أفضل من تركها على الشاطىء عرضة لوطء الاقدام.

فكت بيت فستانها ببطء وكلها نية وتصميم في أن لا تهتز لها شعرة حين ينزل من السيارة ليخلع سرواله ويرميه على المقعد الخلفي. استخدمت ربطة فستانها فعقدت شعرها بها الى الوراء، تاركة اطرافه منسدلة على كتفيها.

حمل لوك لوح التزلج على كتفه، في الوقت الذي كانت تتأهب فيه للنزول الى الشاطىء. لم ينظر إليها، بل سار نحو الشاطىء. وأشار الى اليمين:

- إنهم هناك. يبدو أن الجميع سبقونا.

تعرفت الى جميع الموجودين المتحلقين في حلقة واسعة، وتعرف إليها الجميع بدرجات متفاوتة من ردات الفعل.

قالت آن دايفز:

- ظننتك لن تبقي أكثر من أيام.. أوجدت صعوبة في تركنا؟

وابتسمت لها ابتسامة ذات مغزى وهي تتطلع الى لوك.

فردت بيت:

- مسافرة في الغد. لو عرفت أنك هنا لطلبت من لوك أن يحضر لك ثوب سباحتك.

- أوه.. سآخذه في يوم ما. هل ستجربين التزلج على الامواج.

ضحكت بيت تهز رأسها:

- لا أظن هذا.. شكراً.. ليس اليوم.

- أيعني هذا أنك عائدة مرة أخرى؟ إياك أن تتأخري.

وغمزت باتجاه لوك، فشكرت بيت ربها لأن لوك البعيد

عنهما لم يسمع شيئاً، إذ كان يتحدث مع شابة جميلة.

قالت آن دون سؤال:

- إنها ماري بينيني. أملنا في السباحة في الالمبياد القادم.. أتصدقين أن عمرها سبع عشرة سنة؟

- لا..

- ماذا تهوين من الرياضة؟

- التنس.

- أبارعة فيها؟

- لابأس.

فضحكت آن:

- هذا ما قاله لوك حين سألته مرة ثم إذا به محترف.

- أنا لست محترفة.. ألعب للمرح فقط.. ولا أمانع في الخسارة.

سمعت رجلاً يقول:

- لن يكون لك حظ هنا إذا لعبت بهذه الروح، فنحن نلعب لنكسب.. في أي شيء.

وصول جاك دستن أنقذ بيت من متابعة التفتيش عن ردود لأسئلة آن. وضع جاك لوحة التزلج على الرمال وقال:

- لقد حضرت إذن. ما كنت واثقة من الحضور مساء الجمعة.

كان لوك قد اقترب الآن، ولا بد أنه سمع، لكنه لم يلتفت. ولماذا يهتم؟ ليس هناك من غيرة في قلبه، وهذا يعني أنه لا يأبه بما تفعل. وردت على جاك:

- لم أستطع تفويت المباراة الكبرى بينكما.. من سيربح؟

- هذا ما جئنا لنعرفه. فإذا كسبت أدعك تصطحبينني الى

عشاء انكليزي شرط أن نكون اثنين فقط.

فسألته ان متعجبة دون أن تفهم ما يريد:

- هل أنت مسافر الى انكلترا جاك؟ متى؟

- بعد اسبوعين أو ثلاثة..

- في مهمة؟

- أجل.

فتنهدت آن:

- إن للبعض حظاً طيباً! لماذا لا أعمل في وظيفة كوظيفتك؟

- لأنك لا تصلحين لها.

سأل لوك من مكان ما الى يسار بيت:

- أمستعد أنت؟ وأنت يا آن؟

فهزت آن رأسها:

- لم أنتهِ من وضع الشحم على لوحة التزلج بعد.. اذهبا.. سأحاول اللحاق بكما سريعاً.

راقبت الفتاتان الرجلين يتوجهان الى البحر، رأس اسود والآخر أشقر، أما لون الظهر فنفسه برونزي أسمر وهذا ما ميزهما عن سائر الموجودين. لوك أطول من جاك لكن لأكتافهما العرض ذاته.. غريب كيف أن أحدهما يشعل النار في جسدها بينما الآخر لا تحس معه سوى بالبرودة. لماذا لا يكون الامر عكسياً؟ لكنها لا تريد أن تحب جاك، بل تريد حب لوك. ليس في الحياة ما هو سهل وبسيط.

سبح الرجلان خارج مضرب الامواج. أحدهم أعار بيت منظاراً لتستطيع الرؤية عن كثب. لكن مرت لحظات طويلة قبل أن تتمكن من تركيز المنظار على الاثنين المتقاربين بين اربعين أو خمسين ينتظرون وصول الامواج. كانا ينامان على لوحيهما

يجذفان بيديهما ليبقيا ثابتين مستعدين ينظران خلف اكتافهما البرونزية ليحكما على تضخم المياه خلفهما. رأت عدة موجات اعتقدتها بيت مناسبة لكنهما تركاها تمر من تحتهما مع أن الآخرين ركبوها.

قالت آن وهي تحس بنفاذ صبر بيت:

- لن يركبا إلا أصعب الامواج. الاكبر والاسرع منها.. تلك التي تتطلب مهارة كبرى.. وهذا ما يسعى جاك لإثباته.

ابقت المنظار على عينيها وسألت:

- وماذا عن لوك؟ أهو بحاجة لاثبات أنه الافضل؟

- لا أظنه يهتم كثيراً. لكن جاك لا يدعه يفلت من التحدي. الاميريكيون يحبون أن يكونوا الافضل.. إنه قانون الارض. فإذا كسب لوك اليوم، سيصر جاك على محاولة أخرى.. وأخرى من بعدها.

- أتظنين أن لوك سيربح؟

- لا أحد يعلم فهما ماهران.

ضاقت أنظار آن، ورفعت يدها تضعها فوق عينيها لتنظر الى ما وراء المنتظرين:

- ثمة ثلاثة أمواج ضخمة تتقدم الآن. لقد شاهداها.. انظري الى الطريقة التي يتفرقان بها!

لكن عيني بيت كانتا مستقرتين على رجل واحد، تراقبانه يجثو على ركبتيه فوق اللوح وعضلات كتفيه وذراعيه تتحركان، بينما تتسع الابتسامة على شفتيه. إنه في أحسن حالاته، لا يعي إلا اللحظة القادمة. وهذا ما ستظل تذكره دائماً.

معظم المتزلجين وقفوا وانطلقوا، إلا لوك وجاك. فصاحت آن تقفز على قدميها ترفع رأسها لتحصل على رؤية أفضل:

- إنهما ينتظران الثالثة... الآن!

ووقفت بيت بدورها، النظارة على عينيها، والاثارة في قلبها... وقف لوك على اللوحة المتحركة بسرعة ونعومة. يوازن ثقله ويسيطر بحركات سريعة رشيقة على جسده وكل كيانه مركز على البقاء فوق الموجة.

القمة الآن تنحني على شكل قنطرة الى الامام، بحيث أصبحت نصف دائرة فارغة من الداخل قبل أن تبدأ بالانهيار على نفسها.. وكان لوك يبتعد عنها من الناحية الاخرى للانهيار، يتسابق مع الموجة، محني الركبتين والظهر ليكتسب المزيد من السرعة. ثم التف بسرعة عائداً الى سطح الموجة بعد أن تشكلت من جديد، ليترك المياه البيضاء وراء.

لم تدر أتكون سعيدة أم آسفة حين يحط على الشاطىء أخيراً. للحظات أحست أنها عاشت الاثارة معه. أحست بالريح التي كانت تضرب وجهه، كما أحست بالخطر المحدق به.. وبالاثارة والخطر الذي يعد أحدهما جزءاً أساسياً للآخر.

سألت مقطوعة الانفاس:

- من ربح..؟ لا أستطيع رؤية جاك.

فضحكت آن.

- أعلم أين كان اهتمامك! جاك لم يستطع اكمال الدورة الثانية. وهو عائد ليعاود الكرة مرة أخرى. لكن ما الفائدة، إن لوك ربح بكل جدارة. ها قد وصل.

بينما كانت تراقبه يتحرك الهوينا عبر الشاطىء باتجاههما، تمنت بيت لو تتخلى عن أي شيء لتقول: هذا هو زوجي، وأنا فخورة به... لا إنها تخدع نفسها.. فما تحتاج إلا الشجاعة، فلو كانت صادقة مع نفسها منذ اسبوع لكان لها فرصة الآن.

فرصة ربما ما كانت كبيرة لكنها كافية لبناء ولو قدر قليل من الأمل.. أما الآن فليس لديها شيء.

وجّه الآخرون الى لوك تهنئتهم وتعليقاتهم بطريقتهم الساخرة.. فابتسم بكل بساطة رداً، وتقدم الى حيث تجلس بيت مع آن، وذلك بعد أن رمى اللوحة على الرمال وانضم إليهما. فأجبرت بيت نفسها على القول:

- أهنئك. لا أعرف الكثير عن هذه الرياضة لكنها بدت لي رائعة.

فقاطعتهما آن ببلادة:

- بل تعرف لأنها كانت تركز المنظار عليك طوال الوقت.. لقد أظهرت لجاك براعتك.

- لقد التقطت الموجة قبله بثانية. وهذا هو كل الفرق. ماذا أصابه؟

- لقد وقع، وعاد ليكرر المحاولة. تعرف جاك، لا يكل أبداً. وسيطلب منك جولة جديدة فيما بعد.

- سيكون إذاً تعيس الحظ. فلن أبقى هنا أكثر من ساعة.

بدت الدهشة على آن:

- يوم الاحد..! يا رجل، لا أحد يعمل يوم الاحد!

- الضرورة أولاً. لدي أعمال يجب أن أنهيها.

- وماذا عن بقية الاسبوع؟

- لن أكون هنا.

- رحلة أخرى؟

نظر لوك الى بيت دون أن يجيب آن:

- لست مضطرة للعودة معي.. سيكون جاك أو غيره من الموجودين على استعداد لايصالك.. سأضع حاجياتك في سيارة

www.elromancia.com

جاك.

- شكراً لك.

لم يكن هناك جدوى من قول شيء آخر، فلو عادت معه، لقضت سائر يومها وحيدة.

نقلت آن نظرها بينهما وكأن هناك شيئاً لم تفهمه وقالت:

- حين تأتين الى هنا في المرة القادمة، فلتكن المدة أطول. ترى متى ستعودين؟

هزت بيت كتفيها تظهر قدر ما استطاعت من خفة:

- من يعلم؟ ربما لن أعود أبداً.

- لكن يجب أن تعودي! لوك.. يجب أن تقنعها. ألن تفعل؟

كان قد استلقى على ظهره ورأسه على يديه ووجهه الى الشمس. فأجاب بلهجة مرحة:

- لا أحد يقنع بيت بفعل شيء. فإذا كانت ستعود، فهذا بملء اختيارها. اخبريني إن كنت مستعدة للتزلج، فسأخرج معك في جولة أخيرة قبل أن أذهب.

وقفت آن على ركبتيها لتسوّي ثوب السباحة:

- أنا جاهزة الآن.

كان جاك يخرج من الماء وهما يدخلان إليها، وتقدم نحو بيت ولوح التزلج تحت إبطه.

- وحدك؟

- تقريباً.. لم أشاهد جولتك الثانية.. كيف كانت؟

- أفضل من الأولى.. ما رأيك؟ يبدو أنني سأنتظر جولة أخرى لاعادله. طلب مني لوك منذ برهة اصطحابك الى المدينة لأنه مشغول.

- هذا ما فهمته منه. ألم يحضر صديق آن اليوم معها؟

- أظنها انهت صداقتها به في الاسبوع الماضي. كانت علاقتهما تسوء منذ فترة. لم يكن يناسبها أصلاً. أتعلمين أنها تضع عينها على لوك؟

- لم ألاحظ ذلك.

هنأت نفسها على ثبات صوتها وبرودته، ثم أردفت:

- إنهما منسجمان.. أتعلم.. أظنني سأجد لنفسي مكاناً ظليلاً، فمازلت غير معتادة على الشمس بعد.

- ابقى في مكانك، سأحضر لك شيئاً. لا أطيق فكرة سفرك غداً والشمس تحرق بشرتك.

لم تعلم من أين أتى بها، لكنه عاد بعد قليل يحمل مظلة شاطىء، قال إنها تعود الى أشخاص ذوي نفوس طيبة يجلسون على الشاطىء. عندما رجع لوك وآن الى المجموعة، كانت بيت على وشك الاغفاء تحت المظلة.. سمعت لوك يقول شيئاً عن عدم ازعاجها، ففتحت عينيها في الوقت المناسب فشاهدت ظهره يختفي باتجاه موقف السيارات... حين تراه ثانية سيكون هذا في طريق العودة الى وطنها.

مرّ ما تبقى من النهار بسرعة مدهشة. فبعد الظهر بقليل انتقلت الشلة الى مكان يبعد بضعة أميال عن الساحل لتناول الغداء الذي دام حتى وقت تناول الشاي. ثم بعد ذلك انطلقوا عائدين الى المدينة، حيث انتهى بهم المطاف في ضواحيها، يكملون نهارهم في الكازينو.

قالت آن بعد أن بدأ السأم يظهر على بيت:

- لن تستطيعي جرّ جاك من اللعب قبل ساعات.. وأنا مستعدة للرحيل فما رأيك بأن أوصلك؟

لم تتردد بيت بالقبول.. فقد كانت متعبة بعد يوم طويل،

وآخر شيء تريده أن تتأخر في العودة الى فندقها، خاصة مع جاك. فطلبت من فتاة أخرى أن تبلغه شكرها، وخرجت مع ان الى سيارتها الصغيرة المتوقفة في الخارج. وقالت لها وهي تجلس الى جانبها:

- لم أكن أدري أنك تقودين سيارتك بنفسك.. أعتقد أنني كنت متأكدة من أنك جئت مع أحدهم.. قال جاك إنك فسخت صداقتك.. أهذا نهائي؟

- هذا أفضل لنا.. كانت علاقتنا تتضعضع منذ أسابيع.. إنه يلعب كرة القدم التي أكرهها، ولا يهتم بالتزلج أو بأي رياضة مائية... لقد نجحنا نوعاً ما لأننا بقينا على علاقة مدة لابأس بها.

فردت بيت بهدوء:

- في المرة القادمة، فتشي عن شخص يشاركك بعض اهتماماتك.

أدارت رأسها الاشقر نحو بيت، ثم قالت:

- أجل.. وأعترف أن لوك هدف ممتاز، لولا انشغاله.

- وما الذي يجعلك تظنين هذا؟

- الغريزة.. فلست واثقة مما بينكما.. لكن ثمة شيء.

صمتت بيت طويلاً، ثم قالت:

- أنا عائدة إلى الوطن غداً.

- وهو ذاهب معك.. جاك أخبرني.

- لا يحق له أن يفشي الامر.

- إنه لا يهتم بالحقوق. إنه يحب إثارة المشاكل والابتعاد ليتأمل الامور وهي تجري على هواه. على كل أظن هذا صحيحاً.

فتنهدت بيت:

- أجل.. لكنه سيبقى هناك بضعة أيام، ثم يعود.

- ولن ترافقيه؟

- لا.. أنا آسفة، لن استطيع شرح الموقف، وإذا أردت معرفة المزيد عليك أن تسأليه.

- قد أفعل هذا حين يعود.

حين أوصلتها الى الفندق، وودعتها قالت آن قبل أن تنصرف:

- أتعلمين.. لن أشعر بالضغينة ضدك لو قررت العودة معه، فثمة رجال غيره.

ستحاول بيت دائماً تذكر هذه النصيحة. ربما يوماً ما قد تجد هي كذلك شخصاً قادراً على جعلها تنسى لوك.

كان النور الاحمر يضيء على الهاتف اعلاناً برسالة منتظرة.. قرأتها لها عاملة الهاتف.. السيد فولكنر سيحضر الى الفندق لاصطحابها في العاشرة والنصف صباحاً. وتساءلت كم مرة اتصل، وماذا كان رأيه في غيابها الطويل.. لكن لو كانت موجودة.. أكان هناك من فائدة؟

لقد انتهى كل شيء... وعليها تقبل الواقع.

● ● ●

www.elromancia.com

١١ ـ متى نعود؟

حطت الطائرة بهما في مطار لندن تحت زخات المطر، بعد رحلة دامت ما يزيد ثماني ساعات فوق الاطلسي.

عندما خرجا أمضى لوك نصف ساعة حتى أمّن استئجار سيارة ليقودها بنفسه. قال وهما في السيارة:

ـ إنها غلطتي.. كان يجب أن احجز سيارة لائقة هاتفياً من كاليفورنيا.. لذا عليّ القبول بهذه السيارة الصغيرة. لكن علينا التوقف كثيراً لنمدد أرجلنا قليلاً.

اغتنمت بيت الفرصة حين توقفا، لتتصل «بكوبرن فارم» لابلاغ جيرارد بوصولهما. وقالت له:

ـ حضّر غرفة الضيوف للسيد فولكنر.. لن يقيم طويلاً.. سنتناول الغداء في الطريق، فلا حاجة لتزعج نفسك.

سألها لوك بعد عودتها الى السيارة:

ـ أكل شيء على ما يرام؟ هل احترق المنزل أو أي شيء من هذا القبيل؟

ـ لا.. إلا إذا نسي جيرارد أن يخبرني. نحن كلانا تعب يا لوك، هل لنا أن ننسى السخرية في الوقت الحاضر؟

كان لنظرته إليها بريق آخر غريب:

ـ حسناً نسيت الامر... أتحبين تناول الغداء في مكان معين؟

ـ في الوقت الحاضر، لا أحس برغبة في الطعام.. أشعر وكأننا سافرنا منذ أيام.

ـ ستشعرين بالتحسن عندما يدخل معدتك بعض الطعام. فأنت لم تتناولي حتى الفطور في الطائرة.

توقفا في نُزل ريفي في مكان ما على الطريق ما بين «نوتنغهام» و«ليستر» من مقاطعة «ميدلاندز».. حيث تناولا وجبة خفيفة لم تُشعِر أي منهما بالتحسن.. لم يتبادلا الحديث بعد عودتهما الى السيارة... ولم يمضِ بعض الوقت حتى أحست بيت بأن عينيها تكادان تغمضان.. فقاومت نعاسها، وهي تعلم أن لوك أيضاً تعب مثلها.. لكنها أخيراً ما عادت قادرة على فتح عينيها، فالتوى رأسها على عمود باب السيارة.. حين استيقظت لاحظت أن المناظر التي يمران بها مألوفة فصاحت غير مصدقة:

ـ نحن على بعد عشرة أميال من «كوبرن فارم» أيعقل أنني نمت كل هذه المدة!

ـ نعم نمتها.. ولماذا القلق؟ هذا أفضل ما فعلته.

ـ كان علي أن أقود السيارة لأريحك، فتنام قليلاً.. كان يجب أن توقظني!

تحركت شفتاه مرحاً:

ـ ومن يقول إنني أنام وامرأة تقود السيارة؟ فهذه ليست سيارة ناعمة أوتوماتيكية.

ـ استطيع قيادة شاحنة.. شكراً على أي حال. رقبتي متشنجة كلوح من خشب، لكن على الاقل استطيع التفكير في صفاء الآن.

ـ أنا سعيد لتمكن أحدنا من هذا.. إن أول ما سأحتاجه هو حمام ساخن.. ثم النوم في فراش يحيطه ظلام مطبق، وعارضة

كبيرة مكتوب عليها «ممنوع الازعاج».

ـ حضرت لك كل شيء.

كانت تنظر الى الخارج من النافذة. تفكر كيف مرّ الوقت بسرعة منذ شاهدت لوك من جديد... إن الاسابيع الثلاثة الماضية كانت قصيرة جداً. ثلاثة أسابيع، ولم تحصل منها إلا على هذا. قريباً سيبدأ فصل جديد. فصل بداية كل شيء من جديد. لكن ليس بالنسبة لهما... لقد تأخر الوقت كثيراً.

عندما ولجا الطريق الخاصة، شاهدت المنزل لكنها لم تشعر بالفرح... لن تبيعه، إنما قد تهبه لقضية تستحق التضحية، وإذا اضطرت ستخصص مبلغاً من المال لصيانته... لِمَ لا يصبح داراً لنقاهة الاطفال المرضى... أعجبتها الفكرة، فسيكون للمنزل بهذا العائلة التي أرادها والدها، وسيعرف جوزف كيف يتمم الامور. فثمة قواعد وقوانين تحدد حتى الهبات. لكنها ستقوم بذلك مهما كلفها الامر.

التقاهما جيرارد عند الباب.. فحيّاهما بتحية رصينة كالعادة. قال لهما إن الشاي سيكون حاضراً متى أراداه.

ـ ما أفضله الآن هو بعض القهوة، وإذا سمحت احملها الى الحمام. سأضع نفسي في الماء نصف ساعة. ثم أنام الى ما شاء الله.. لذا لن احتاج الى شيء لوقت طويل.. دلني فقط على الاتجاه الصحيح.

فقالت بيت:

ـ سأريك الطريق بنفسي.. وليذهب جيرارد لتحضير القهوة لك. أظنني سأحذو حذوك، ثمة متسع من الوقت في الغد للقيام بكل شيء.

العرفة التي خصصت للوك كانت في آخر الرواق الذي يضم

غرفتها. بقيت عند الباب وهو يدخل ليرمي الحقيبة التي أصرّ على حملها بنفسه. فقالت له:

ـ أتمنى لك الراحة. لديك حمامك الخاص.. هناك.

ـ وهل شروط الاقامة مطبوعة على مؤخرة الباب؟ لست بحاجة لتلعبي دور المضيفة الطيبة معي، فأنا زوجك. سأراك فيما بعد.

عندما، تركته بيت، قصدت غرفتها التي أسرعت الى إغلاق بابها. لو تأخرت لحظة أخرى أمامه.. لانتهى أمرها بين ذراعيه، فبالرغم من تعبها وارهاقها، أحبته وارادته. تُرى ماذا كان سيفعل لو استسلمت لتهورها وقصدته الآن؟ أكان ضمها إليه كما أرادت أن يفعل.. أم كان سيبعدها عنه بنفاذ صبر؟ لن تعرف الحقيقة، لأن الفرصة ضاعت. وتشك في أن يكون لها فرصة أخرى.

حين استيقظت كانت الغرفة مظلمة، فحسبت نفسها ما تزال في كاليفورنيا إلا أن الساعة المضيئة عند سريرها أشارت الى أن الوقت تجاوز منتصف الليل... يبدو أن نومها لن يعرف استقراره العادي إلا بعد عدة أيام.

نهضت من سريرها ثم وقفت أمام نافذتها التي فتحت ستائرها قليلاً، لتنظر الى الحديقة الصامتة...

ترى لوك.. الى من سيعود؟ أإلى آن؟ ربما.. فهما يلائمان بعضهما بعضاً.. لكن عليها معرفة الحقيقة التي لن تطيقها أو تحتملها!

فجأة أحست بالجوع، فلقد مر أكثر من اثنتي عشرة ساعة منذ تناولت طعام الغداء، وهي متأكدة من شيء ما، لن تعود الى النوم قبل فترة قادمة.. لذا من الافضل أن تجد لنفسها ما تأكله. المطبخ في الجهة الغربية من المنزل. كبير وحديث ونظيف.

www.elromancia.com

أضاءت أحد الانوار القريبة من البراد، لأنها ترددت في إضاءة المكان كله. والدها، حين جدد المنزل، اشترى أفضل ما في السوق، لكن النتيجة أنه أفقده دفئه.. المطبخ في منزل لوك حديث كذلك، لكن الادوات التي استخدمها أضفت عليه الدفء والترحيب. قدرة السيدة جيرارد على تحضير ما تريد هنا، كان أبعد من قدرتها هي.

كانت تنتظر غليان الماء في الابريق على النار، تجلس الى طرف الطاولة ترتدي روباً قصيراً، ليس تحته شيء لكنه لا يظهر منها إلا ساقاها. فجأة انفتح الباب فإذا به لوك:

ـ أنا أيضاً جائع.. معدتي الخاوية أيقظتني. ماذا تحضّرين؟

ـ دجاج.. ثمة الكثير إذا أردت.

تقدم ليفتح باب البراد.. كان خفه الجلدي الرقيق لا يصدر صوتاً فوق الارض.

ـ أحب اللحم... أين تضعون السكاكين؟

وضعت بيت يدها على رف الادراج خلفها لتفتح الدرج الذي استخدمته. لم تتمكن من منع نفسها من التوتر قليلاً حين لامست أصابعه أصابعها وهو يتناول منها السكين. ولا بد أنه أحس بما تحس، لم يقل شيئاً. كان وجهه بعيداً عن النور الساطع، فلم يظهر منه شيء ينمّ عن مشاعره. لذا لما سمعت صوت صفارة الابريق الذي غلى شعرت بالرّاحة.

بينما كانت تعد كوبين من القهوة، كان هو قد حضر سندويشاً من اللحم المحضر سلفاً، أما بيت فكانت تريد حمل طعامها الى غرفتها، لكن ذهابها الآن سيكون بمثابة هروب. جلست على كرسي مرتفع قبالته.

أشعلت الضوء المتدلي من السقف الذي شع فوق سطح

الطاولة فقط، دون أن يبعدها عن الظل.. قال لها بعد أن قضم سندويشه:

ـ أذكر أن المرة الأخيرة التي تناولت فيها طعاماً في منتصف الليل، كان في الجامعة.. كنا أربعة طلاب نعيش في شقة واحدة، لكننا كنا دائماً مفلسون. يومذاك وجدت وظيفة ليلية في غسل الصحون في مقهى، يحق لي خلالها تناول وجبة طعام كجزء من الراتب.

ـ قدمت لك منحة بكل تأكيد؟

ـ طبعاً كان لديّ منحة، لكنها كانت بحاجة الى دعم، وهذا كل شيء. كان بعضهم يحصل على ما يحتاجه من عائلته، لكن عائلتي لم تكن قادرة.. وهكذا عملت، كما كان يفعل آخرون كذلك.

صمتت بيت، تتصور في عين أفكارها، لوك الشاب الفقير الفخور بفقره. لا بد أنه كان يكسب مرتباً محترماً حين عرفته.. على الاقل حسب مقاييسه. وبكل تأكيد لم تكن الاماكن التي اصطحبها إليها رخيصة جداً. وقد استطاع شراء سيارة، وثياب لائقة، وربما كان يدخرّ منها للمستقبل. لكن لم يكن أي من هذا يكفيها. لم تكن قد عرفت يومها ما معنى الحب الحقيقي. سألها بهدوء:

ـ فيمَ تفكرين؟

للمرة الأولى وجدت نفسها تجيب دون مراوغة:

ـ بأول ليلة التقينا فيها، اذكر كم كنت طويلاً، ومعتدّاً بنفسك.

ـ نعم كنت معتدّاً بها كل الاعتداد.. ظننت أن هذا كل ما يلزمني.

- الى أن أزلت أوهامك.

وضعت خبزها المأكول نصفه على الطبق، وقد فقدت شهيتها فجأة:

- سأعود الى الفراش.

أمسك بخصرها لدى مرورها به، ثم استدار في مقعده ليواجهها... وقال متمتماً:

- مازلت واثقاً من أمر واحد. أريدك بيت.. الآن.. الليلة.. ولا يهمني كم يربك هذا الامور.

بدا صوتها غريباً لها:

- لا! لا أريد...

- بل تريدين.. لقد اردتني حالما لمستك الآن... فإذا كان هذا كل ما تبقى لنا، فلماذا لا نمتع أنفسنا ما دمنا قادرين؟

كائناً ما يكون الرد الذي حاولت قوله فقد تلاشى حين ضغط ذراعيه حولها ليحتضنها.. بعدها بثوانٍ، كان الوقت قد تأخر كثيراً على أي جواب. لم تحاول المقاومة وهو يرفعها عن الارض ليحملها خارج المطبخ. كان وجهها مدفون في نعومة قماش روبه، تشم عطره الرجالي. لقد حملها هكذا مرة من قبل. لكنها يومها كانت تقاومه، فلتكن الليلة مختلفة. فلتكن كما كان يجب أن تكون يومها. فلتكن هذه الليلة ليلة لا تنتسى.

حملها لوك الى غرفتها حيث مددها بلطف فوق السرير.. ثم اطفأ الانوار، كان كمن يقرأ أفكارها. فقد كانت بحاجة الى الظلام كستار لها، لا لجسدها، بل لمشاعرها. بعدها طفق يداعبها ببطء.. يتمتم كلمات قرب أذنها لم تفهمها.. ويجمع جسدها بين ذراعيه ويشدها الى نفسه، في حين أن أطراف أصابعه شرعت تستكشف ظهرها، يمررها على خصرها ثم يعود الى

حيث كان، مما جعلها تنسى كل شيء ولا تعي إلا وجوده هو وحده.

تسللت أشعة الشمس الخفيفة الى الغرفة عبر الستائر التي تركتها مفتوحة ليلة أمس حين كانت تتأمل الحديقة. كانت وحيدة في الفراش.. الوسادة الى جانبها لم تمس. تخدّر تفكيرها لحظة، تحسب أنها كانت تحلم ليلة أمس. لكن نبضات قلبها وانتعاش جسدها كان الدليل الكافي لاقناعها بأن ما حصل كان الحقيقة... لكن يبدو أن كل ما جرى لم يمنع لوك من تركها وحيدة في برودة الفجر. بل أنه توقف للتفكير في توضيب الوسادة الأخرى وفي اعادتها الى طبيعتها لئلا يلاحظ جيرارد شيئاً حين يحضر لها الفطور... يجب عليها أن تتذكر شكره على هذه البادرة الذكية.

لكنها كانت تعلم أنها لن تفعل هذا، فما مرّ بينهما ليلة أمس يجب أن تتجاهله، وأن تنزله منزلته الصحيحة، فالجنون المؤقت قد تلاشى الآن. واليوم سيشهد نهاية علاقتهما.. ما أن يوقع لوك على تلك الاوراق اللعينة التي تركها والدها عبئاً على كتفيها، حتى يصبح كلاهما حرّ في طريقه. على الاقل مازالت تحتفظ بكرامتها دون مساس... ولم تخنها مشاعرها لتقول له إنها تحبه.

نظرت الى الساعة فوجدتها تتجاوز التاسعة. ما من شك في أن جيرارد تردد في ازعاجها من نومها. خاصة أنه لاحظ نزولهما لتناول وجبة سريعة في المطبخ... وتساءلت: هل لوك في غرفته أم خرج ليركض؟ يجب أن تخرج هي كذلك، فلا فائدة من الجلوس والاحساس بالعزلة هكذا. فلوك حصل على كل ما يريد منها ليلة أمس.

كانت قد انهت الحمام وارتداء الملابس حين رن جرس الهاتف، الذي طالعها منه صوت ڤاليريا:

- لقد فعلتها إذن.. أخبرني جيرارد أنكما وصلتما... لم يتطلب ذلك منك وقتاً طويلاً... أليس كذلك؟ كنت أعلم أن كل ما يحتاجه القليل من الاقناع.

ردت بيت بصراحة لمعرفتها عقم المواربة:

- لن يبقى معي. جاء فقط لتوقيع بعض الاوراق عند جوزف. كيف تجري الامور في المحل؟

بدا الصمت من الجهة الاخرى شاذا إن بالنسبة لطوله أو لعمقه، وحين تكلمت ڤاليريا، كان ذلك بلهجة تختلف تماماً عن طبيعتها المرحة:

- المحل بخير اليزابيت... يجب أن أتحدث إليك.

- يجب أن تنتظري. لأنني سأطلب حضور جوزف الى هنا أولاً.

- جوزف ليس في البلدة الآن. لقد استدعاه أحدهم في شأن عائلي. أظن أن شقيقه مريض جداً.

أحست بيت بالصدمة:

- أوه.. ألا تعرفين متى يعود؟

- لا أعرف شيئاً. فلقد سمعت بالخبر صدفة... ولن يشكل هذا فارقاً على أية حال.

- وماذا يعني قولك هذا؟

- إنه ما أود أن أتحدّث به إليك.. لكنه حديث لا أستطيع المباشرة به هاتفياً.. سأكون عندك في أقرب وقت.

بقيت بيت في غرفتها الى حتى وصلت ڤاليريا، خائفة من أن تلتقي بلوك قبل أن تفهم ما يجري. تذكرت قلق جوزف حين

جاء لرؤيتها ذلك اليوم، وبدأت تشك في هذا الواقع... وأحست بالسقم. كيف ستقول للوك إنه قطع هذه المسافة كلها دون فائدة؟ بل لماذا يصدقها حتى؟ سيعتقد أنها خدعته ليعود معها.. ولسبب واحد فقط... وهذا كثير على كرامتها.

أكدت ڤاليريا مخاوفها بعد دقيقتين من دخولها الغرفة، وهي منحطة المعنويات:

- لقد اقنعت جوزف.. لم تعجبه الفكرة أساساً، لكنه وافق لأنني أقنعته بأنها الطريقة الوحيدة لدفعك الى السعي وراءه. حسبت أنه حين تلتقيان ثانية تصطلح الأمور بينكما، لكنني أشعر بالاسى لأنني فشلت.

كانت بيت تجلس على مقعد قرب النافذة تنظر الى التلال البعيدة.. وقالت بصوت خشن:

- إذن.. كل ما كنت بحاجة إليه، هو وثيقة الزواج... وسفري ذاك كان من أجل لا شيء.. ماذا سأقول له بالله عليك.

- أتريدين أن أقول له إنني تآمرت عليك؟ لقد أخطأت..

صمتت تتأمل وجه بيت، فلاحظت الانكماش حول فمها... فتابعت بصوت خفيض:

- لكنني لم أخطىء... لقد أردته أن يعود... هل صرّحت له بهذا؟

- لا.

- ولماذا؟

- لأن له حياة خاصة لا يحتاجني فيها أبداً.

وابتسمت بمرارة وهي تردف:

- إنه لا يحتاجني قال.

كانتا تحدقان الى بعضهم بعضاً حين دُقّ الباب، فتوقعت أن

www.elromancia.com

يكون جيرارد حاملاً بعض الطعام، دعته بيت للدخول. لكنها جمدت وهي ترى لوك يدخل. توقف عندما رأى ڤاليريا.. وتغيرت أسارير وجهه:

- آسف.. لم أعرف أنك غير وحيدة.. كيف حالك؟

ابتسامته لڤاليريا كانت سائغة مرحة فردت عليه:

- عفنة... يسرني حضورك يا لوك. فلقد وفرت عليّ عناء البحث عنك.. فلدي اعتراف أقوم به.

هبت بيت واقفة على قدميها، وقد احمر وجهها:

- توقفي عن هذا.. أتسمحين؟ سأوضح له الامر بنفسي.

أخذ لوك ينظر من إحداهما الى الاخرى، وعيناه تضيقان، ثم سأل:

- توضحين ماذا؟

وتدخلت ڤاليريا قبل أن تتمكن بيت من الكلام:

- ستوضح لك أنني أنا من دفعت جوزف ديكارتس، المحامي، لاختلاق تلك القصة بشأن حاجته الى توقيعك. أترى... لقد فهمت كل شيء بطريقة خاطئة. لقد ظننت أن الكبرياء وحدها هي التي تفرقكما. وفكرت في أنكما حين تجتمعان ثانية، ستحلان المشكلة. لكن يبدو أن كل ما فعلته.. هو أنني أجبرتك على المجيء الى انكلترا من أجل لا شيء... ماذا استطيع القول سوى أنني آسفة؟

رد بجفاء:

- لا يمكنك قول شيء. على الاقل كانت النية طيبة.

وأدار عينيه الى بيت:

- أرى أنها كانت صدمة لك كذلك... كل هذا الجهد ضاع سدى! لقد أحسنت صنيعاً عندما تركت ملابسي في الحقيبة.

قالت ڤاليريا بسرعة:

- أنا ذاهبة. بيت.. سأراك في الغد.

تحركت نحو الباب، ثم رفعت كتفيها إشارة اعتذار وقالت:

- في المستقبل سأبعد أنفي عن شؤون الآخرين.

رد عليها:

- هذا أفضل لك وأحسن للجميع.

واقفل الباب وراءها.. واسند ثقله الى الباب وهو ينظر الى بيت:

- إذن «كوبرن فارم» سيبقى لك رغم كل شيء. مبروك. مؤسف حقاً عدم معرفتك بالامر البارحة إذ لوفرت على نفسك الاذلال.

حدقت فيه عبر الغرفة، تشع عيناها بلون أخضر في وسط وجه أبيض.

- أتظنني فعلت ما فعلت البارحة لأنني خشيت أن تتراجع عن تنفيذ اتفاقنا؟

- ليس بالضبط ربما... سأعطي نفسي هذا القدر من التقدير. لكنني أشك في أنك لو كنت.. لنقل، تملكين هذه المعلومات.. لما صدقت أن المنزل في خطر.

المشاعر المتأججة داخلها تبلورت فجأة على شكل غضب وألم...

- اللعنة على المنزل! واللعنة عليك كذلك يا لوك! فلن أعود لازعاجك.

لكنه لم يتحرك.. بل وقف يتفرس فيها بتعبير غريب:

- أعيدي ما قلته ثانية.. أرجوك؟ عن «كوبرن فارم».

تأخر الوقت الآن عن التراجع... لقد خانت نفسها. إذن

فلتكن له لذة النصر بمعرفته مشاعرها نحوه، وماذا يهم بعد الآن؟ قالت بخشونة:

- لا يهمني المنزل... ألا يدعو الامر الى السخرية؟ منذ ست سنوات أحببتني ولكنني هزأت بك... وها قد جاء دورك الآن لتهزأ بي وتشمت. إنما اخرج من هنا واضحك في مكان آخر! أتسمح؟ لأنني لا اعتقد أنني قادرة على التحمل.

ولم يتحرك كذلك.. استمر يحدق فيها وكأنه لم يشاهدها من قبل:

- مازلت غير واثق من أنني فهمت ما تقولين... أصحيح ما أسمع أم يتراءى لي؟

ضحكت بمرارة:

- أتريد أن أهجىء لك الكلمات... لمَ لا؟ فقد يجعل اعترافي هذا الرحلة جديرة بعنائها! لقد سعيت إليك لأنني كنت مضطرة.. وما «كوبرن فارم» سوى عذر.. لم يلزمك سوى يومين لتجعلني أقع في حبك. لا.. وهذا أيضاً غير صحيح. فأنا لم أتوقف عن حبك يوماً... منذ ست سنوات. فعندما رأيتك ثانية اشتعل حبي لك من جديد. لكنني لم أرغب في الاعتراف بالامر. ربما كريستين محقة.. ربما قدمت لك ذلك العرض على أمل أن ترفض المال حين الاستحقاق.. لكن ما لم أحسب له حساباً، هو هجرانك إياي بالطريقة التي فعلتها. لقد فكرت... أملت...

وصمتت تبتلع ريقها بصعوبة:

- أوه.. وهل يهم ما فكرت؟ لقد انتقمت مني شر انتقام. لأن ما فعلته كان مدروساً، بينما ما فعلته أنا غير مدروس. كنت صغيرة أفسدها الدلال من المال والمركز... حسناً... لقد

تعلمت الآن! ولك الفضل في ما تعلمته. لكن من الخير أن يتعلم المرء متأخراً على ألا يتعلم أبداً. أليس هذا ما يقال؟

رد عليها بصوت ناعم رقيق بشكل لا يصدق:

- بيت... توقفي عن هذا حبيبتي، فأنت لست وحدك التي لم تتوقفي عن الحب.. اعتقدت دائماً أنني ما عدت أحبك، واعتقدت أيضاً أنني قادر على أن استغلك.. لكنني لم انجح.. أتذكرين حين وصلت الى منزلي وأنا واقف قرب البركة؟ كنت أفكر فيك ساعتذاك ثم التفتت فإذا أنت تقفين أمامي. صدقت في تلك اللحظات المجنونة أنك أحببتني كما أحببتك.

- لكنني رميت كوبرن فارم في وجهك ثانية. لو انتظرت لحظات أكنت ستبوح لي بمشاعرك؟

ابتسامته ظهرت بطيئة:

- ما كان عليّ أن أقول لك شيئاً. كنت أنوي أن أظهر لك كل شيء.

بطريقة ما وجدت نفسها بين ذراعيه، تضحك وتبكي في آن واحد، وتتعلق به ووجهها على صدره:

- أوه.. يا إلهي.. ما أغباني!

- لم أكن فخوراً جداً بردة فعلي كذلك. لكن كان أمامي طريقة واحدة للنيل منك وكنت أنوي استغلالها لاقصى مدى. لكن حين وصلت مرحلة التنفيذ عرفت أنني أريد المزيد منك. لذا استدعيت كريستين.. دعماً معنوياً لي.

مدت بيت يديها لتلمس وجهه، ولتتبع خطوط فمه باصابعها، فأحست بتجاوبه يأتي عميقاً عميقاً.

- كانت تعرف أنني أحبك.. وصرّحت لي بذلك.

- وهل صدقتها؟

- ممكن.. فالنساء حساسات تجاه أمور كهذه.

راحت شرارات زرقاء تنبعث من عينيه الرماديتين، باعثة نوراً أخذ ينمو ويتكاثر ويتراقص. أحست بحبه لها وشاهدت التواء فمه وتقلص عضلات فكيه.. حملها بين ذراعيه واعادها الى السرير، فقالت:

- الباب. قد يدخل جيرارد حاملاً الفطور و..

تركها قبل أن تنهي جملتها، وأدار المفتاح في القفل ثم عاد ببطء يخلع قميصه عنه.

- هذا ينهي حجة جيرارد... والآن سأعتني بك.

كانت ليلة أمس ليلة اكتفاء لها.. لكن الليلة كانت أكثر من ذلك. فللمرة الأولى ليس هناك ما يخفيانه عن بعضهما بعضاً.. فكرت ببيت حالمة في كل الايام والليالي الآتية.. حيث تستيقظ كل صباح تعي الحب الذي بينهما، ذاك الحب الذي سينمو وينمو.. الآن لا ندم ولا أسف على ما جرى منذ ست سنوات.. المهم الحاضر، هذا الحاضر الجميل.

تمتم لوك:

- بشأن هذا المنزل. أكنت تعنين ما قلته؟

ردت بصوت منخفض يحمل القناعة:

- أعنيه. وأخشى أن يضطر جيرارد لقبول ما تركه لهما والدي.. سأتأكد من أن يعيش هو وزوجته عيشة مريحة.. ما رأيك بتحويله الى دار أطفال.. دار نقاهة؟ نستطيع استثمار بعض الاموال تعود فائدتها لإدارته... فمن الصعب أن استخدم الاموال التي تركها لي أبي في هذه المرحلة.. لكن ما دام لي زوج عبقري..

رفع رأسه مقاطعاً قولها:

- استطيع تحمل مصاريف معيشتنا معاً براحة... أجل.. حتى ولو زدنا أربعة أو خمسة. لكن لن يكون هذا في انكلترا يا بيت.. فبيتي هناك.

- أعلم.. ولن أجادلك. فبيتي حيث تكون أنت. في أميركا، أوروبا أو الشرق الأقصى! سألحق بك حتى آخر الدنيا.

فقال ساخراً، بصوت يشوبه بعض الحنان:

- ما هذا الاخلاص؟ يا إلهي.. ما أشد حبي لك! أكاد أجن حين أفكر أنني كنت على وشك أن لا أقولها ثانية لك.

- وأنا كدت أخسر قولها الى الأبد! كم كنت عمياء غبية، لا ترى أبعد من طرف أنفها... إنك دون شك كرهتني.

- لم أكرهك. لم تكن غلطتك.. كما قلت مرة.. لولا رفضك إياي لما كان لدي الدافع للبدء بحياة جديدة. كنت يقيناً ستعيشين بائسة، لأنني لا أستطيع أن أقدّم لك ما اعتدت الحصول عليه. الحب قد يتغلب على الفروقات الاجتماعية.. لكنه لا يستطيع تغيير الطبيعة. أنت تنتمين الى طبقة معينة، وأنا سعيد لتمكني من توفير نمط حياة لائق بك.

في خيالها تصورت ذلك المنزل المطل على البحر، فأحست بالغبطة والحبور فهناك سيكون لها حياة جديدة سعيدة هي أشبه بالحياة في الوطن. فقالت له:

- ومتى نستطيع العودة؟

• • •

www.elromancia.com